الكتاب: الإسلام والشيعة الإمامية في أساسها التاريخي
المؤلف: محمود الشهابي الخراساني
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات: في أصل الكتاب لا يوجد معلومات هوية الكتاب

مقدمة
كتاب الإسلام والشيعة الإمامية...
لمؤلفه الفاني
محمود الشهابي الخراساني
غفر له ولوالديه
الحقوق، كلها، محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد – المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وعترته المطهرين، وعلى صفوة أصحابه الراشدين.
وبعد فيقول الحقير الواني، محمود الشهابي – الخراساني:
إن أصدق كلمة يحق أن يصدر بها الكلام، بعد الحمد والتصلية والسلام، كلمة أشهد أن لا إله إلا الله، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد.
وأشهد أن محمدا عبده – المنتخب ورسوله المنتخب، الصادق المصدق في كل ما قال ونطق، وإن ما جاء به من الشرعة والمنهاج وحي من الله وحق. وإنه صلى الله عليه وآله وسلم ترك للأمة ما إن تمسكوا به لن يضلوا أبدا بعده: كتاب الله والعترة، وعلى رأس العترة، وأبو الأئمة، هداة الأمة، أهل بيت الرسالة وفروع دوحه السفارة.
اللهم ثبتنا على ما ارتضيت لنا من الدين، واجعلنا من – المتمسكين بما ترك لنا رسولك الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين واحشرنا معه ومع عترته الطاهرين وآل بيته المكرمين.

- ١ -
ثم يقول:
مما يتجلى في الإسلام جد جلية هو شدة اهتمامه بالوحدة والاتحاد، والألفة والاتفاق، فجعلت فيه آية من آيات المؤمن إنه " ألف مألوف " وأنزل في حق المؤمنين على سبيل الحصر، إنهم أخوة، وأمرت الأمة بالاعتصام بحبل الله بالاجتماع، ومنعت عن التفرق والاختلاف، وشرعت لهم الجماعة، والجمعة، والعيدين، والحج للفوز بالتعاهد والتآلف للمجاورين في كل يوم وليلة، ولأهل المحلة في كل أسبوع، ولأهل البلدة في كل سنة، ولأهل البلاد المتباعدة والأقطار - المتنائية المتكثرة في جميع العمر ولو، ولو مرة، وفرضت عليهم الزكوات والصدقات، وسنت العطيات والنفقات، لتوطيد أساس المحبة والولاء بين الأغنياء والفقراء (مضافا إلى ما لها من الخيرات التامة والمصالح العالية العامة)
هذه جلية الحال عند من تأمل في مقاصد الإسلام ودعاياته، وتوجه إلى القرآن - المجيد وآياته، فانظر إلى قوله تبارك وتعالى: " إنما المؤمنون إخوة " ١ وقوله، جل وعلا،: " واعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا... " ٢ وقوله عز وجل: " ولا تكونوا كالذين تفرقوا، واختلفوا من بعد ما جائتهم البينات... " ٣ وقوله جل جلاله: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذي أوحينا إليك، وما وصينا

---

١ - الآية العاشرة من السورة ال ٤٩ (الحجرات).
٢ - الآية ال ١٠٣ من السورة الثالثة (آل عمران).
٣ - الآية ال ١٠٥ (من آل عمران)

به إبراهيم وموسى وعيسى، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه... " ١ وإلى كثير من الآيات، والروايات، الواردة بهذا المضمون، لا نطيل بذكرها.
هذا ما اهتم به الدين، وأراده الله ورسوله، من المسلمين. فيجب أن تدور عليه حياتهم في أفكارهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وجميع حركاتهم وسكوناتهم، وكيف لا
وجميعهم مؤمنون بأن إلههم واحد، وكتابهم واحد، وشرعهم واحد، وبالجملة كلهم معتقدون بالدين، وبكل ما ورد في الدين، ومذعنون بوجوب الطاعة والامتثال لما ثبت في الدين باليقين؟
المسلمون، بحسب الإيمان والاعتقاد، يحومون حول أمر واحد، ويدورون على محور مركز فارد، فهم بهذا الاعتقاد والإيمان، إن توجهوا إليه وحافظوا عليه، كنفس واحدة، منضما كل إلى غيره بالسنخية، ولا مدخل للخلاف والاختلاف بينهم، وما داموا كان ذاك الإيمان والاعتقاد فيهم راسخا، وكان عملهم وفق ما يقتضيه ذلك الاعتقاد قائما ثابتا، ما انفكوا عن الاتحاد والائتلاف فما برحوا متعانقين السيادة والسعادة والاعتلاء.
- ٢ -
ذاك ما هدى ١ إليه الإسلام وأرشد، واهتم به الدين وشدد، وهذا ما يلزمه خالص إيمان المسلمين ويوجبه ادعائهم المتقن واعترافهم المؤكد. فمن أين دب فيهم تنين - الخلاف؟ وكيف حدث بينهم حدث الاختلاف؟ ولم صار اختلافهم بحيث أورث - التفرقة، وصيرهم فرقة خصيم فرقة، وجعلهم طوائف تعادى، بل تقاتل، طائفة طائفة؟
فيا للأسف كم من مجادلات قولية وتعصبات كلامية، اتفقت بين هذه الطوائف والفرق!؟ وكم من مجاولات فعلية دامية، حدثت في ما وقع واتفق: تارة بين الحنفية وبين الشافعية! ومرة بين الحنبلية وبين غيرها! وثالثة بين هذه المذاهب وبين الشيعة

---

١ - الآية ال ١٣ من السورة ال ٤٢ (الشورى)

ورابعة بين الأشعرية وبين المعتزلة، وهكذا كان الأمر في سائر الفرق والمذاهب – الإسلامية؟ ١

بل وا لهفاه حيث يرى، حتى في عصرنا الحاضر، الخلاف والاختلاف والجدال والقتال في المسلمين من مذهب واحد، وفرقة واحدة، وجنسية واحدة، على ما تهويه حكوماتهم الفاسدة النائمة ورؤسائهم الطامعة الغاشمة. ومما يزداد التلهف منه إن ذلك لأجل الاحتفاظ بالثغور والحدود وباسم التعدي والتجاوز على المحدود!

اللهم يا رباه، الدين واحد والجنسية واحدة والملية واحدة فما هذه الحدود الموضوعة، والثغور الممنوعة التي تعاند وتقاتل هذه البلدة الإسلامية هذه الطائفة تحت ستار – الاعتذار بالتدافع عن التعدي، وفي عين الحال تدعى تلك بأنها تدفع التجاوز والتخطي!

فيا لها من مصيبة للإسلام وفي الإسلام. ممن التعدي أيها الإخوان المسلمون!؟ وإلى أين!؟ وعلى من!؟

أفترى أن الله بعث رسوله (ص) لمثل هذه المعاندات؟ أو أراد من أمته، التي هي خير أمة أخرجت للناس، هذه المباغضات والماشاحنات!؟ أو تكون هذه الاختلاف من الرحمة ويكون فيها خير الملة وصلاح الأمة!؟

ويا للحسرة من أوراق، سودت بكلمات ناشئة عن التعصب والعناد، كاشفة عن العنت واللداد، مائلة من الرد والإيراد، مائلة عن الصواب والسداد، فارغة عن العدل

---

١ – قال القاضي أبو بكر بن العربي (المتوفى سنة ٥٤٣ ه. ق) في كتابه " العواصم من القواصم " الذي سنشير إلى ما فيه وفي ما علق عليه من العصبية والاعتساف والتهيام في كل واد من أودية الخلاف: "... واتصل الهرج إلى يوم المساق، وصارت الخلائق عزين، في كل واد من العصبية، يهيمون فمنهم بكرية (يعني تقولون بأفضيلة أبي بكر) وعمرية وعثمانية وعلوية وعباسية، كل تزعم أن الحق معها وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم. وليس ذلك بمذهب ولا فيه مقالة وإنما هي حماقات وجهالات أو دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة وتهزء الملحدة من الملة ويلهو بهم الشيطان ويلعب... "

والإنصاف، غارقة في عين حمئة من الجور والاعتساف، بل ربما أرخى في بعضها عنان القلم فجال في مجال البهتان وماد في ميدان القذف والافتراء ونال من مخالفه ما جرح قلب المروئة والصداقة بالشتم والسب والاعتداء!

- ٣ -

إذ ليس الغرض من هذه المتقدمة عرض ما ضبطه التاريخ أو ما نسمعها أو نشاهدها في عصرنا، عصر الصواريخ، من تلك الحوادث المؤسفة الناشئة هن العصبية واللداد وتعداد هذه الوقائع المؤلمة الباعثة للكآبة والملال فليقتصر فيها على إيراد واقعتين منها كي تعتبر أولو الأبصار مما يفعل التعصب بأهله من الآثار والأخطار:

حكى عز الدين، عبد الحميد بن أبي الحديد، في شرحه على النهج (ذيل ما صدر عن علي (ع) في وصف الأتراك - كأني أراهم قوما كان وجوههم، المجان - المطرقة... -) واقعة هجوم التتار على بلاد الإسلام (سنة ٦١٦ ه. ق) وكان ذاك - الهجوم في زمانه، فقال، بعد نقل فتوحات التتار وما كان منهم من القتل والنهب والسبي

والحرق والهدم والاستيصال:

"... ولم يبق في البلاد الناطقة باللسان الأعجمي، بلد إلا حكم فيه سيفهم، أو كتابهم، فأكثر البلاد قتلوا أهلها وسبق السيف العذل... ولم يبق إلا أصبهان فإنهم نزلوا عليها مرارا في سنة سبع وعشرين وستمأة (٦٢٧) وحاربهم أهلها، وقتل من - الفريقين مقتله عظيمة، ولم يبلغوا منها غرضا، حتى اختلف أهل أصبهان، في سنة ثلاث وثلاثين وستمأة (٦٣٣) وهم طائفتان: حنفية وشافعية، وبينهم حروب متصلة، وعصبية ظاهرة. فخرج قوم من أصحاب الشافعي إلى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التتار، فقالوا لهم: اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم!!

" فنقل ذلك إلى قاآن بن جنكزخان، بعد وفاة أبيه، والملك يومئذ منوط بتدبيره، فأرسل جيوشا من المدينة المستجدة، التي بنوها وسموها قراقرم، فعبرت جيحون مغربه (أي متجهة إلى الغرب) وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على

على هيئة المدد لهم، فنزلوا على أصبهان في سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحصروها. فاختلف سيفا الشافعية والحنفية في المدينة حتى قتل كثير منهم وفتحت أبواب – المدينة، فتحها الشافعية! على عهد بينهم وبين التتار، أن يقتلوا الحنفية! ويعفوا عن الشافعية!.

" فلما دخلوا البلد بدأوا بالشافعية!! فقتلوهم قتلا ذريعا، ولم يقفوا مع – العهد الذي عهدوه لهم، ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائر الناس، وسبوا النساء، وشقوا بطون الحبالى، ونهبوا الأموال، وصادروا الأغنياء، ثم أضرموا النار، فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من الرماد... "

وأورد شهاب الدين ياقوت الحموي (ذيل كلمة الري من كتابه معجم البلدان) بعد ما قال:

"... فأما الري المشهورة فإني رأيتها، وهي مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمق المحكم، الملمع بالزرقة، مدهون كما تدهن الغضائر، في فضاء من الأرض، وإلى جانبها جبل مشرف عليها، أقرع لا ينبت فيه شئ " هذه العبارة:

" وكانت مدينة عظيمة، خرب أكثرها، واتفق إنني اجتزت في خرابها في سنة ٦١٧، وأنا منهزم من التتر، فرأيت حيطان خرابها قائمة، ومنابرها باقية، وتزاويق الحيطان بحالها، لقرب عهدها بالخراب إلا أنها خاوية على عروشها.

" فسألت رجلا من عقلائها عن السبب في ذلك فقال: أما السبب فضعيف، ولكن الله إذا أراد أمرا بلغه.

" كان أهل المدينة ثلاث طوايف: شافعية، وهم الأقل، وحنفية، وهم الأكثر، وشيعة، وهم السواد الأعظم لأن أهل البلد كان نصفهم شيعة وأما أهل الرستاق فليس فيهم إلا شيعة وقليل من الحنفيين، ولم يكن فيهم من الشافعية أحد.

" فوقعت العصبية بين السنة والشيعة! فتظافر عليهم الحنفية والشافعية، وتطاولت منهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يعرف، فلما أفنوهم! وقعت العصبية بين الحنفية والشافعية! ووقعت بينهم حروب كان الظفر في

جميعها للشافعية، هذا مع قلة عدد الشافعية، إلا أن الله نصرهم عليهم! وكان أهل الرستاق، وهم حنفية، يجيئون إلى البلد بالسلاح الشك، ويساعدون أهل نحلتهم، فلم يغنهم ذلك شيئا حتى أفتوهم!!

" فهذه المحال الخراب التي ترى هي محال الشيعة والحنفية! وبقيت هذه المحلة المعروفة بالشافعية، وهي أصغر محال الري. ولم يبق من الشيعة والحنفية إلا من يخفي مذهبه!!... "

ثم نقل الحموي لبيان عظمة الري، ما حكاه الإصطخري بقوله: " وليس بالجبال بعد الري أكبر من أصفهان " وبقوله: " والري مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها... "

- ٤ -

ومما يزيد العجب لكل من اطلع إلى أمثال هذه الوقائع، في التاريخ من المجادلات التي نشأت من العصبية العمياء الصماء، وحدثت عن الجهالة الجهلاء، فتفرقت منها الكلمة وتشتت الأمة وأنتجت قتل النفوس وهدم البيوت، ويزداد في التلهف والأسف لكل من عرف الإسلام وآمن به، هو أن الجل، لولا الكل، مما أورثت العصبية ليس أمورا مرتبطة بذاتيات الإسلام وجوهره، داخلة في صلب الدين وحقيقة، مصادمة لأصول الشرع وضرورياته، معارضة لأركان الإيمان ومسلماته، بل ربما يكون البحث، المورث للعصبية والنزاع، راجعا إلى عدم تحرير محله، وإلى عدم كون النفي والإثبات في الكلام ثابتا لما كان بينهم موضع وفاق. وعلى أي حال ليست من الأمور التي يبيح القتل، ويسوغ الهدم ولا سيما أن كلا من الطرفين يعلن بالشهادتين ويعمل بما يعلم أنه من الدين، ويؤمن بما جاء به خاتم النبيين.

أورد ابن أبي الحديد في شرحه على " نهج البلاغة " (طي الكلام عن غزوة أحد) نقلا عن الواقدي (بعد نقل ابتلاء المسلمين بغلبة المشركين عليهم):

"... وجعل ابن أبي والمنافقون معه، يشمتون ويسرون بما أصاب المسلمين

ويظهرون أقبح القول. ورجع عبد الله بن أبي إلى ابنه، وهن جريح، فبات يكوى – الجراحة بالنار، حتى ذهب عامة الليل وأبوه يقول: ما كان خروجك مع محمد إلى هذا الوجه برأي، عصاني محمد! وأطاعني الولدان، والله لكأني أنظر إلى هذا.
فقال ابنه: الذي صنع الله لرسوله، وللمسلمين، خيرا إن شاء الله.
" قال (يعني الواقدي):
" وأظهرت اليهود، القول السيئ وقالوا: ما محمد إلا طالب ملك.
ما أصيب هكذا نبي قط في بدنه، وأصيب في أصحابه.
" وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله وأصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه، وقالوا لأصحاب النبي (ص): لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل.
" حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك في أماكن، فمشى إلى رسول الله يستأذنه في قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين. فقال (ص): يا عمر إن الله مظهر دينه، ومعز نبيه. ولليهود ذمه فلا أقتلهم!
" قال: فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون.
" فقال (ص): أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟
" قال: بلى، وإنما يفعلون تعوذا من السيف، وقد بان لنا أمرهم، وأبدى الله أضغانهم.
فقال (ص): إني نهيت عن قتل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله يا ابن الخطاب "
هذا ما أراد الله من نبي الإسلام، وممن آمن به، وآمن برسوله، واتبع دينه، فعلى ماذا يصح أن يحمل ما صدر عن بعض المسلمين باسم الإسلام، وحفظ الشرع ورعاية الدين، بالنسبة إلى إخوانهم من التكفير والتوهين، وجر البلاء، وسفك الدماء وإهلاك النفوس وحرق البيوت والتخريب؟

- ٥ - ماذا يتصوران يكون بين الحنفي وبين الشافعي من الاختلاف في ما هو من - الأصول، والضروري في الدين، كي يسوغ لهم ما ارتكبوا من السفك، والقتل والهدم!؟

ويا سبحان الله ماذا أباح للمسلم، أن يواد من حاد الله (التتار) ويعاهده على قتل إخوانه المسلمين، وسبى نسائهم وهدم بيوتهم!؟

أم ماذا هو الذي يكون موردا للإنكار من أركان الإيمان، وأصول الإسلام، وهي الشهادة بالوحدانية، وبالرسالة، وبالحشر والنشر، ويوم الجزاء؟ بل أو من - الفروع، وهي العبادات، المقررة الثابتة في الدين، والمعاملات، والحدود والديات، والأحكام والسياسات، المسلمة في الشرع، لمن قال مثلا بقدم القرآن أو حدوثه، كي يمتحن ويحكم بقتله؟ على أن ذاك الاختلاف وأمثاله يشبه أن يكون لفظيا بحتا، بداهة أنه لا يعقل أن يعتقد عاقل ويقول إن القرآن المؤلف من السور، المؤلفة من الآيات، المؤلفة من الجمل، المؤلفة من الكلمات، المركبة من الحروف، المتدرجة في التلفظ والكتابة، المترتبة بالتقدم والتأخر، المتحققة في وعاء الزمان المنطبقة على أجزائه، المتعاقبة المتصرمة الحادثة، قديم سرمدي غير مخلوق، وهكذا لا يعقل أن يعتقد من له أدنى شعور ومسكة ويقول من له أدون فهم ودربة إن القرآن باعتبار وجوده العلمي للحق، تبارك مجده وتعالى شأنه، وبلحاظ كونه مسطورا بقلم - العناية في اللوح المحفوظ بوجوده الجمعي، محدث زماني ومخلوق إمكاني فما معنى ذاك الاعتبار والمحنة؟ وما وجه ذلك الابتلاء والفتنة؟ وبأي دليل من الشرع أو حجة من العقل استبيح السفك واستسيغ إراقة الدم!؟ أم ماذا هو الذي يبيح لمسلم إراقة دم أخيه المسلم، المتفق معه في قول " لا إله

إلا الله، محمد رسول الله "، الموافق له في الإيمان بأن ما جاء به الرسول (ص) بقضة وقضيضة، حق يجب اتباعه، والمشابه به في العمل بكل ما ثبت من الدين حكمه،

بمجرد كونه معتقدا وقائلا بأفضيلة صحابي على غيره ولا سيما إذا كان استناده في ما يعتقد ويقول بالكتاب والسنة واعتماده على الأخبار والآثار؟
أترى أن هيهنا دليلا نقليا، أو حكما عقليا على أن ذاك القول والاعتقاد وخصوصا في ما صح الاستناد، وتم الاجتهاد، ممنوع وحرام. ثم لو سلم كونه حراما هل ثبت من الشرع أو العقل إن فعل الحرام على الاطلاق (أي حتى في ما إذا كان الفاعل ممن أدى اجتهاده من مستند قوي السند، جلى الدلالة، جائز الاستناد إليه صحيح الاعتماد عليه، إلى أنه لم يعتقد كون ذلك الفعل حراما في الشرع) يكون مما يبيح القتل وإراقة الدم؟ على أن من ينكر أفضلية ذاك الصحابي، يدعى غيره أفضلية صحابي آخر فكلاهما سواسية الحكم وليس الحكم بهدر دم أحدهما أرجح من الحكم بسفك دم الآخر.
بل أية حجة من الكتاب، أو السنة، أقيمت على أن من نقل ما حكي من الطعن في بعض الصحابة، بل على أن من انتقد، أو انتقص، أو طعن عليه في بعض أفعاله (ولا سيما مع عدم الاعتقاد بعصمته) يصير مهدور الدم، واجب القتل (لا ينكر أنه أمر مرغوب عنه، غير مستحسن بل بالنسبة إلى بعض مذموم مستهجن ولكنه أين هذا من هدر الدم وإباحة القتل؟)
- ٦ -
هل ورد دليل على أن كل واحد من الصحابة معصوم عن الزلل والخطاء، فلا يجوز نقل طعن المعصوم ولا يبقى لنقد عمله موضوع؟ أما كان بعض من يصدق عليه عنوان " الصحابي " من المنافقين؟ وأما قال الله تبارك وتعالى في حق المنافقين: " إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار... "؟
ثم أما كان في الصحابة من ينتقد وينتقص صحابيا آخر، بل ويرتكب شتمه، وضربه، ولعنه وقتله مع أن إهانة المؤمن، ولو لم يكن صحابيا، ممنوع محرم؟
أما روي أن أبا بكر الصديق (رض) قال لطلحة، الصحابي الذي بشر،

باعتقاده، على لسان النبي الصادق الأمين، له بالجنة،: " أنت شر الناس أما والله لو وليتك لجعلت أنفك من قفاك ". ثم قال: " آتيتني وقد دلكت عينك! تريدان تفتنني عن ديني!... قم: لا أقام الله رجليك!... " ١

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني – الصفحة ال ٦١٩) مسندا عن " عبد الرحمن بن عوف إنه دخل على أبي بكر الصديق (رض) في مرضه، الذي توفي فيه، فأصابه متهما فقال له عبد الرحمن: " أصبحت، والحمد لله، بارئا.

" فقال أبو بكر، رضي الله تعالى عنه، أتراه؟ قال: نعم.

" قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه! ورأيتم الدنيا قد أقبلت... وأنتم أول ضال بالناس غدا، فتصدونهم عن الطريق يمينا وشمالا! يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر. فقلت له: خفض عليك، رحمك الله، فإن هذا يهيضك في أمرك!... "

وقال أيضا (الجزء الثاني – الصفحة ال ٦١٩ أيضا –)، بعد هذا الكلام المنقول:

قال أبو بكر، رضي الله تعالى عنه:

" إني لا آسى على شئ من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن، وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله (ص).

" فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شئ!... ووددت أني لم أكن حرقت الفجأة السلمي!... وأما اللاتي تركتهن، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس كنت ضربت عنقه فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شرا إلا أعان عليه!... "

فهذا أبو بكر الصديق الصحابي يقول كشف بيت فاطمة، التي لو لم تكن

---

١ – لما كانت هذه المكالمة وأضرابها، التي لم يصرح في هذه المقدمة بمأخذها – المنقول عنها، ستورد في متن الكتاب ويصرح هيهنا بمأخذها وتفصيلها ترك هنا ذكرها وأجمل في تقلها.

٢ – " ورم أنف فلان: غضب "

بنت الرسول وبضعته ومن كان إيذاؤها إيذائه، كانت صحابية وأية صحابية، سيدة نساء العالمين أو نساء الجنة ١. ويقول إنه نادم على عدم قتل الأشعث الصحابي لأنه لا يرى شرا إلا أعان عليه!.

وهذا عمر (رض) أما أمر بقتل الصحابي العظيم سعد بن عبادة الذي كان صاحب لواء الرسول (ص) في الأنصار، وكان بدريا، وكان دعا الرسول فيه وفي آله بالصلاة الرحمة، وأما قال عمر: " اقتلوا سعدا! قتل الله سعدا "؟

وأما قال هو أيضا في حق الزبير، حواري الرسول، وابن عمته، والمبشر له بالجنة: " عليكم بالكب "؟ (في قضية الهجوم على كشف بيت فاطمة). وأما قال أيضا: لخالد بن الوليد الصحابي، سيف الله على ما قال أبو بكر،: " قتلت مسلما! ونزوت على امرأته! والله لأرجمنك بأحجارك! "؟

وأما أمر بعد حين من إمارته في بدء خلافته بتوهينه تجاه الجند، ومقاسمة أمواله، ثم إحضاره ومؤاخذته عن أمواله ٢؟

---

١ - في صحيح البخاري (الجزء الخامس - الصفحة ال ٢٠) " باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم ".
" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فاطمة سيدة نساء أهل الجنة " وفيه أيضا (الصفحة ال ٢١) بالإسناد عن المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني "

٢ - في الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦٢٤ -) بالإسناد: "... ولم يزل عمر عليه (أي على خالد) ساخطا، ولأمره كارها، في زمان أبي بكر كله، لوقعته بابن نويرة. فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله. فقال: لا يلي لي عملا أبدا. فكتب إلى أبي عبيدة... ثم انزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله نصفين... فقام بلال مولى أبي بكر إلى أبي عبيدة فقال: ما أمرت به في خالد؟ قال: أمرت أن أنزع عمامته، وأقاسمه ماله فقاسمه ماله حتى بقي نعلاه... فأخذ نعلا وأعطاه نعلا. ثم قدم خالد على عمر، المدينة " (كان ذلك في السنة ال ١٣ من الهجرة).
وفيه أيضا، بعد ما قدمناه، بالإسناد عن سليمان بن يسار قال: " كان عمر كلما مر بخالد قال: يا خالد أخرج مال الله من تحت استك! فيقول: والله ما عندي من مال. فلما أكثر عليه عمر، قال له خالد: يا أمير المؤمنين ما قيمة ما أصبت في سلطانكم أربعين ألف درهم. فقال له عمر: قد أخذت ذلك منك بأربعين ألف دراهم! قال: هولك. قال: قد أخذته! ولم تكن لخالد مال إلا عدة ورقيق. نحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم. فناصفه عمر ذلك. فأعطاه أربعين ألف درهم، وأخذ المال... فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك ".

وأما صادر سعدا، ابن وقاص، الصحابي الكبير الفاتح، وغيره من الصحابة – الكبار الذين كانوا من عماله، في أموالهم؟ على ماذا ينبغي هذه المصادرة والمقاسمة؟ أكانت في أموالهم الشخصية؟ فلم وبأي حق؟ أو في أموال المسلمين؟
فكيف وهم من أعاظم الصحابة وليسوا بخائنين!؟
وأما حد قدامة بن مظنون على شرب الخمر، وهو صحابي من السابقين الأولين! "؟ ١
وأخيرا أما أمر حين قرب وفاته أبا طلحة الأنصاري بقتل ستة من كبار الصحابة إن لم يتفقوا على واحد منهم للخلافة! أو بعضهم المخالف!، وهم من العشرة المبشرة وهم الذين، على ما قال عمر،: " مات النبي (ص) وهو عنهم راض " فكل منهم صالح (وإن أظهر لكل، سوى على، عيبا ونقصا) باعتقاده لأن يكون خليفة للرسول وأميرا للمؤمنين.
وأما ضرب الخليفة عثمان، الصحابة البدريين: أبا ذر وابن مسعود وعمار – بن ياسر؟
ثم أي الطرفين صادق في قضية مغيرة بن شعبة: هو أو الشهود؟
فإن كان هو الصادق
فتحقق القذف من جانب الشهود وإن كان ادعاء الشهود فالزنا محقق ثابت

---

١ – قال القاضي أبو بكر بن العربي أيضا في كتابه الموسوم ب " العواصم من القواصم " أيضا: " فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو أميره. وعزله " وقال المعلق على الكتاب ومصححه: " قدامة بن مضعون الجمحي أحد السابقين الأولين، هاجر الهجرتين وشهد بدرا... "

وكلهم من الصحابة، وممن ادعيت عدالتهم، وممن ادعى أنهم كالنجوم، وممن استبيح دم من تكلم فيهم، ونقل ما حكي من نقصهم وعيبهم!!
وأي الصحابيين العظيمين كاذب: عبد الرحمن بن عوف أو المغيرة بن شعبة في ما حكاه الطبري في تاريخه (الجزء الثالث – الصفحة ال ٢٩٨)؟ حيث قال: "... وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن (يعني بعد تمام البيعة لعثمان): يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان وقال لعثمان، لو بايع عبد الرحمن غيرك ما رضينا! فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور! لو بايعت غيره لبايعته ولقلت هذه المقالة " أكان مغيرة الصحابي العادل! كاذبا منافقا؟ أم عبد الرحمن كذب في ما قال في حقه مؤكدا؟.

– ٧ –

ثم إذا كان، بتصريح الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، على ما في روايات جمة أوردها البخاري في صحيحة ونقلناها منه في الكتاب (ذيل أصحاب الردة)، في – الأصحاب من يطرد عن الحوض ويطرح في النار (لأنهم أحدثوا بعد الرسول وإنهم ارتدوا بعده على أدبارهم القهقرى!) فكيف يكون كلهم عدولا؟ وعلى ما ينبغي أن يحمل إنهم كالنجوم! بأيهم يقتدي يهتدي؟ وإذا كان السب قبيحا مذموما (وكذلك يكون) بل على ما يقال: حراما ممنوعا، فما الدليل على قتل من ارتكب هذا الحرام ولا سيما مع اجتهاد المرتكب وتأويله، ولو فرض أنه مخطئ؟
هل من العدل والإنصاف أن يعد مروان بن الحكم، (طريد رسول الله، ص،) الذي قتل، كما هو المشهور المعتبر (أو أمر بالقتل، كما قيل)، طلحة بن عبيد الله، الصحابي البدري الصالح للخلافة (على ما قال عمر وانتخب)،؟ أم يجعل الصحابي الفاسق وليد بن عقبة الذي شهدوا عليه بشرب الخمر وزيادة في الصلاة حين إمارته وأمر بحده الخليفة، عثمان، لمجرد إدراكهما النبي، من العدول ومن النجوم؟!
وأن يحكم بإباحة سفك دم من نقل ذلك في حقهما، أو بجواز قتل من سبهما وانتقصهما؟! أو أن يعتقد بأن من يقتدي بهما يهتدي؟!

أليس عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري في الطراز الأول من الصحابة؟
ثم أما ضبط الكتب المعتبرة كيفية مشاتمتهما وملاعنتهما، بأقبح وجه، وأسوأ تعبير بعد قضية الحكمية؟
قال الفقيه المالكي في كتابه " العقد الفريد " (الجزء الخامس الصفحة ال ١٠٥ –):
" وقال أبو موسى لعمرو: لعنك الله! فإن مثلك، كمثل الكلب إن
تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث! " فقال عمرو: لعنك الله! فإن
مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا! "
هذا نموذج مما ذكر في التواريخ المعتبرة، كالطبري، والكامل، وأضرابهما، في ما جرت بين الصحابة أنفسهم، من المشاتمة، والملاعنة، والمسابة، وإذ ليس الغرض هنا إلا
رفع الاستبعاد، وأن يكون الاستنقاص لبعض الصحابة، أو الانتقاد والطعن عليه، لم يكن مستنكرا بينهم، ولا يكون بدعا من الأمور، يستحق المرتكب أن يراق دمه، وتنزع نفسه
ولا يضر بالإيمان بالله وملائكته ورسله، ولا ينقض الاعتقاد بما جاء به النبي (ص) فلنختم الكلام في هذا الشأن بما فعله معاوية من القتل واللعن.
– ٨ –
أما عد معاوية بن هند، آكلة الأكباد، الطليق بن الطليق، الذي سمى
أمير المؤمنين وخليفة الرسول بل واتسم خال المؤمنين، من الصحابة؟ ثم أما حارب عليا وهو ابن عم الرسول، وصهره، على بضعته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأخوه، والنازل بمنزلة نفسه بنصه، ووصية وخليفته، الذي لو فرض أنه لم تكن منصوصة خلافته من الله ورسوله فكان منتخبا من الأمة: مهاجريهم وأنصارهم والبدريين منهم بأجمعهم، انتخابا، انتخابا أشمل وأمتن وأعدل حتى من انتخاب أول الخلفا؟ ١

---

١ – لكون الانتخاب من المهاجرين والأنصار كلهم، لا من بعض المهاجرين (وهم الثلاثة الذين كانوا في السقيفة وهم عمر، وأبو عبيدة الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، على قول،) ومن بعض الأنصار (وهم غير سعد بن عبادة وأقربائه). وكونه بلا فلتة بل مع تريث كامل وتلبث زائد. وكونه بانثيال الناس وإقبالهم عليه لا بإقباله على الناس وجلبهم إليه.

وهو الذي قال الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في شأنه على ما في تاريخ الخلفاء – (الصفحة ال ١٦٨) لجلال الدين السيوطي (وأخرجه الحاكم):
" ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد لعلي، رضي الله عنه "
وهو الذي قال النبي في حقه: " من آذى عليا فقد آذاني " وقال أيضا
في شأنه كما في صحيح البخاري (الجزء الخامس): " أنت مني وأنا منك " وغير ذلك من الأحاديث المتوافرة، بل المتواترة، التي رويت نبذة منها في الكتاب، وستمر عليك فيه إن شاء الله.
نعم، آذى معاوية رسول الله بإيذائه عليا بالحرب، بل آذى الحق والعدل والإنصاف، لا بالحرب فحسب مع علي بل بجميع ما فعل بالنسبة إليه من الافتراءات ووضع الأحاديث والروايات، والسب والشتم واللعن عليه، وعلى جمع من أكابر – الأصحاب.
أمر معاوية بلعن على في جميع البلاد الإسلامية على رؤس المنابر بحيث صار – اللعن في زمنه، وزمن إخلافه السوء من بني مروان، سنة تتبع، وعادة لا ترتدع يتقرب الناس به إلى الخلفاء وإلى عمالهم، ويفتخرون بهذا العمل السيئ في أقوالهم.
قال عز الدين بن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (ذيل ومن كلام له، عليه السلام، لأصحابه: – أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البعلوم...):
" إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما، بسبب على والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنة في أيام بني أمية، إلى أن قام عمر بن عبد العزيز فأزاله ".
وأورد أيضا نقلا عن " الكامل " للمبرد:
" إن خالد بن عبد الله القسري، لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن عليا على المنبر، فيقول: " اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم،

صهر رسول الله على ابنته! وأبا الحسن والحسين! " ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت؟! "

وأورد أيضا بالإسناد، عن عبد الرحمن بن سائب أنه قال:

" قال الحجاج يوما لعبد الله بن هاني، وهو رجل من بني أود، حي من قحطان، وكان شريفا في قومه، قد شهد مع الحجاج مشاهده كلها وكان من أنصاره وأعوانه: " والله ما كافأتك بعد... "

ثم ذكر ابن سائب كيفية المكافاة بإرسال الحجاج إلى أسماء بن خارجة، سيد بني فزارة، وأمره بتزويج عبد الله بن هاني بابنته، وإباء أسماء من ذلك، ودعوة – الحجاج بالسياط وتهديده، وقبوله التزوج كرها! ثم بعثه إلى سعد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية، وأمره بتزويج ابنته من ابن هاني، واستنكافه، وطلب الحجاج، السيف، لقتله، وتسليم ابن قيس مكرها للأمر!

ثم قال بعد ذلك:

" نقل الحجاج لابن هاني: قد زوجتك بنت سيد فزارة وبنت سيد همدان وعظيم كهلان، وما أود هناك؟!

" فقال: لا تقل، أصلح الله الأمير، ذاك فإن لنا مناقب ليست لأحد من العرب.

" قال: ما هي؟

" قال: ما سب أمير المؤمنين عبد الملك في ناد لنا قط.

" قال هذه منقبة والله.

" قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا، ما شهد منا مع أبي تراب إلا رجل واحد.

" قال: منقبة والله.

قال: ومنا نسوة نذرن إن قتل الحسين بن علي، أن تنحر كل واحدة عشر قلائص! ففعلن!

" قال: منقبة الله!!

" قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل!! وزاد ابنيه حسنا وحسينا وأمهما فاطمة!
" قال: منقبة والله!
" قال: وما أحد... "
- ٩ -
وإذا كان الغرض من هذه المقدمة بيان التأسف على ما وقع من اختلاف الناشئ بين المسلمين، بما لا ينبغي أن يصير موجبا للتفرقة، وتشتت الكلمة، والإخلال بالوحدة فكيف بالخصومة والجدال، والمعاندة والقتال، ثم بيان ما دعا المؤلف إلى ترقيم هذه الأوراق، وحداه على تأليف تلك الصفحات، مع احترازه الشديد عن عمل يوهم الخلاف، ويورث الاختلاف، واحترامه الوفير لكل من بذل سعيه في سبيل بسط الإسلام ونشره، مخلصا لله ومريدا للإسلام، وعمل جهده في العمل بأحكام - الدين، واتباع خاتم النبيين، والحماية عن وحدة كلمة المسلمين، متجليا بكمال - الإيمان، فليقتصر بما ذكر من الأنموذج والمثال، ويشرع في ما هو الغرض من المقال.
كانت الأيام أيام عطلة واصطياف، وكنت وقتئذ خارج البلد (طهران) في - المصطاف (ميگون) وذلك في شهور الصيف من سنة ١٣٧٤ ه. ق، زارني فيه يوما أحد العلماء الأمير كانية MORGAN. KENNETH W. P وقال: " إني أريد
أن أولف فصولا جامعا بعض شؤون الإسلام، كل فصل منها لشأن منه، وبقلم واحد من علماء إحدى البلاد الإسلامية، وقبلت عدة منهم عدة فصول وتعهدوا بذلك " وسميهم، منهم الشيخ محمود شلتوت، مفتي الديار المصرية وشيخ الجامع الأزهر، رحمه الله
تعالى، في ذاك الوقت، وسأل عني كتابة الفصل الذي كان في طرحه ورسمه، تحت عنوان " الشيعة "، وكان من شرطه أن لا يتجاوز الفصل عن خمسين صفحات وطلب مني تعيين اسم الكتاب فاقترحت تسميته باسم " الإسلام هو الصراط المستقيم " (THE STRAIGHT PATH - ISLAM).

فاعتذرت ولكنه لم يعفني وأصر، فأجبت سؤاله وكتبت مختصرا تحت عنوان " الشيعة " بالفارسية، مقتصرا على بيان معتقدات الشيعة الإمامية، أصولا وفروعا فارغا عن ذكر المدارك والدلائل (رعاية لشرط السائل) فترجم كسائر فصول الكتاب بالإنجليزية (أخطأ المترجم في موضعين من ترجمته لهذا الفصل، ولكنه لا يخفى على الخبير البصير صوابه الذي كان عليه الأصل).

فطبع الكتاب بأمريكا وترجم من الإنجليزية بعدة لغات، منها العربية والأوردية ومما يؤسف أن المترجمين بهاتين اللغتين، تحت تأثير العصبية، لم يراعيا في ترجمة هذا الفصل جانب العدل والإنصاف، وسلكا في ما ذهبا طريق الاعتساف. أما الأول جاوز الله عنه، ففي ما علق على بعض الموارد من هذا الفصل. وأما الثاني، لا سامحه الله

لما فعل، فكأنه لم يدر معنى الترجمة، ولم يعتقد لزوم رعاية الأمانة، وخيل له أن له الحق في ما كان بصدده باسم الترجمة، أن يغير الأصل على ما يشاء، ويتصرف فيه كيف يشاء، ولهذا قال قبل الشروع، في ما سماه الترجمة، ما هذا مفاده (على ما ترجم

لي من كلامه): " لما كان مطالب هذا الفصل غير الصواب عندي، فلا أقيد نفسي بترجمة عين ما فيه، بل أتصرف فيه وأبدله بما هو الصواب عندي! "

هكذا تفعل العصبية بأهلها من الانحراف والاعتساف فيتولد منه الخلاف والاختلاف، وقديما ما جنت أيادي العصبية العاصية العاتية على الإنصاف والعدل وكثيرا ما نسجت عناكب الوهم والجهل بيوت الواهنة الوهمية العاثية لتضليل العقل وتستير الحق.

- ١٠ -

وإن شئت زيادة على ما دريت من عتو العصبية فانظر إلى ما وسمه متفاضل باسم " الصراع بين الإسلام والوثنية " وكنى بالوثنية عن التشيع! وأتى فيه بالنسبة إلى الشيعة من الكلمات الشنيعة، ما لا يتجاوز عنه في الشريعة. وإن تعجب فعجب نقله،

مع تلك التسمية، وهذه المأنيات الباطلة، حديثا مسندا عن " الإمام بن الإمام عبد الله

بن أحمد بن حنبل " عن النبي (ص): " يا علي أنت وشيعتك في الجنة " –
(الصفحة ال ٢٠ من الكتاب) ولا تسأل عن هذا المتفاضل على من يصدق العنوان أي
عنوان " شيعة على الذين هم في الجنة؟
وانظر أيضا إلى ما كتبه القاضي أبو بكر بن العربي (محمد بن عبيد الله المعافري –
الإشبيلي المتوفى ٥٤٣ ه. ق) باسم " العواصم من القواصم " كي ترى ما يصنعه
التعصب،
في قضائه للباطل على الحق. فتريه في مقام الدفاع عن أمور، يصادر على المطلوب
تارة ويقتصر بالادعاء، عن إقامة الدليل مرة فيقول مثلا (ص ٦٣): " هذا كله باطل
سندا ومتنا. أما قولهم... فباطل. وأما... فزور. وأما... إفك مثله " وأما
نفيه أبا ذر إلى الزبدة فلم يفعل، كان أبو ذر زاهدا، وكان يقرع عمال عثمان ويتلو
عليهم
" والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب أليم "
ويراهم يتسعون في المراكب والملابس.. " ويقول: " وهذا قهر عظيم
وافتئات ١ على الصحابة، وكذب في وجوههم وبهت لهم " ويقول: " وهذه كلها
مصالح لا تقدح في الدين! " (الصفحة ال ٧٧) ومع أنه ومصحح كتابه يعتقدان أن
الصحابة
كلهم عدول، مبرئون منزهون، لا يجوز التكلم فيهم " ولا ينتقص منهم إلا زنديق "
حتى
قال المصحح في ما قدمه على الكتاب (ص ٧): " والصحابة كانوا أسمى أخلاقا
وأصدق إخلاصا لله وترفعا عن خسائس الدنيا من أن يختلفوا للدنيا... " وقال أيضا
في المقدمة بهذا العنوان، " أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدول بتعديل الله
ورسوله لهم، ولا ينتقص منهم إلا زنديق " يقول المؤلف في متن الكتاب في موضع
"... واضطرب الأنصار يطلبون الأمر لأنفسهم! أو الشركة مع المهاجرين! " ويقول
في موضع آخر. " وتعلق بآل العباس وعلي بميراثهما في ما تركه النبي، من
فدك وبني النضير وخيبر "
وفي موضع ثالث:
"... إن العباس وعليا (على ما رواه الأئمة – على ما قال –) اختصما عند عمر
في شأن أوقاف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال العباس لعمر: يا أمير المؤمنين

---

١ – " افتأت برأيه: استبد وافتات على الباطل: اختلقه "

إقض بيني وبين هذا الظالم! الكاذب! الآثم! الجائر!... " ونقل المصحح في ما عقله هنا، الرواية من صحيح البخاري! ومن " فتح الباري " لابن حجر! وقال: وفي رواية: " وبين هذا الكاذب، الآثم، الغادر، الخائن " يا سبحان الله مما صنع التعصب حتى بالحياء الذي من الإيمان ١.

وما ينبغي أن يقال لمتعصب يحمله التعصب على إنكار كل ما لا بد من التمسك به فيقول في موضع من الكتاب: " إنما ذكرت لكم هذا، لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين! والمؤرخين! وأهل الآداب! بأنهم أهل جهالات بحرمات الدين! أو على بدعة مصرين! فلا تبالوا بما رووا! ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ولا تسمعوا لمؤرخ كلاما! إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر والداء الأكبر فإنهم ينشئون فيه أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم... "

بالله أيها القاضي قل لنا: التفاسير والتواريخ والآداب كلها جهالات وبدع لأن فيها استحقار الصحابة والسلف إلا حديث " رواه الأئمة " على ما تقول، لأن الإثم، والغدر، والخيانة، والكذب المفترى قوله على العباس عم الرسول، لعلي ابن عمه وصهره وكنفسه وخليفته (ولو في المرتبة الرابعة) في نظرك وأمثالك احترام واستعظام وتجليل وتبجيل!؟. وأما ما قلت في شأن الطبري فاعلم أن جل ما نقل في هذا الكتاب مأخوذ من الطبري والحمد لله.

- ١١ -

انعقد في عام ١٣٧٦ ه. ق. مؤتمر إسلامي ببلدة لاهور بباكستان، بدعوة

---

١ - أيها المعلق المحقق!! أما صح عندك الروايات المتضافرة المصرحة بأن إيذاء على إيذاء الرسول وإيذاء الرسول (ص) إيذاء الله، جل جلاله وعظم نكاله هب أن نذر الحياء لأهله ألست تدعي أنك من العلماء ثم أما تدبرت في القرآن (ولعلك كنت حافظا لكلماته الشريفة) وفيه " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فاخش من الله ولا تؤذيه وذر العصبية واكتف بما تفترى على الشيعة وتقول في تعليقك على العواصم (الصفحة ال ٦٧): " والشيعة يذمون موقف الصحابة من مسيلمة وقومه!! ويدافعون عن المرتدين "

من جامعتها، فاجتمعت الوفود المدعوة (نحوا من أربعين وفدا من أربعين مملكة) من أكثر بلاد العالم المهمة وكان موضوع البحث في أحد أيام المؤتمر (تأثير الاجتهاد، في الإسلام " وكان أول من تكلم في ذاك اليوم في الموضوع المقرر، أحد العلماء – الأفاضل من مصر، رحمه الله، فقال في ما ألقى في خطابه بعد ما ذكر ابتداء أئمة – الشيعة الاثني عشر بأسمائهم:

" إن الشيعة تعتقد أن هؤلاء الأئمة مشرعون وهم يقولون بالقياس ويعتبرونه.. "

فعجبت من هذا القول وهذه النسبة والقائل أستاد معروف بالتتبع، صاحب التآليف – الكثيرة. فلما وصلت نوبتي أشرت في ما ألقيت من الخطاب بأن ذاك القول منحرف عن الصواب، ومما يدل على بطلانه أن الشيعة، كغيرها من المسلمين، وتعتقد أن التشريع الديني لله تبارك وتعالى وهو يوحى بوساطة أمين وحيه جبرائيل على رسوله، وليس

في الشيعة من اعتقد نزول جبرائيل بعد رسول الخاتم، وبعد أن أكمل الله تعالى به (ص)

دينه وأتم نعمته، على أحد من الناس كائنا من كان، فكيف تنسب إليهم ذاك الاعتقاد – الباطل!؟

نعم تعتقد الشيعة أن أهل البيت أدرى بما في البيت، وأن القرآن يعرفه من

خوطب به، وتعتقد أن النبي، كما استفاضت منه، " مدينة العلم والحكمة وعلي بابها "، وتعتقد بأن الأئمة من صلب على ذرية الرسول وآله، ومن سلالته وأبناؤه،

وأبواب علمه وحكمته، وأمناؤه، آخذون ما قالوا من جدهم، ومفسرون بتعليمه

إياهم ما أشكل فهمه على غيرهم، ومبينون ما خفي دركه واشتبه على غيرهم، فهم يروون كابرا عن كابر بالسند الموصول إلى جدهم الرسول، ويبينون أصول الدين وفروعه، مستندة إلى ما لا يجوز لمن أسلم إلا التسليم منهم والقبول. وذلك كله لطهارة

ذاتهم، وشرافة صفاتهم، واتصالهم جسما وروحا بالنبي (ص) وانفعالهم عنه.

وأين هذا من اعتقاد التشريع؟

وأما نسبة القياس إليهم فأمرها عجيب، والتفوه بها من مثل الأستاذ بعيد غريب، وكيف له والأصاغر من طلبة العلم سمع من الشيعة أنه يقول: " وليس من مذهبنا القياس "

وسمع هذا الكلام المروى بالاستفاضة عن إمام المذهب، جعفر بن محمد الصادق (ع) " السنة إذا قيست محق الدين " وسمع مذاكرة الإمام مع الإمام أبي حنيفة في بطلان القياس ١، وشاهد من شاهد كتب الشيعة في أصول الفقه، أنه فيها انعقد فصل للكلام على القياس وإبطاله؟

والعجيب أنه لما قلت، بعد ما جلسنا معا، من أين قلت ما قلت أيها الأخ العزيز؟ قال: ترجم لي بعض من يعرف الفارسية، من كتاب فارسي! فقلت: أليس عجيبا منك، مع مقامك السامي في العلم والفضل، ومع تتبعك الوفير، وتبحرك - الشهير من طرف، ومع كثرة المؤلفات الموجودة، قديما وحديثا، من علماء الشيعة بالعربية من طرف آخر، أن لا تراجع إليها، وأن تعتمد على ما ترجم لك من كتاب

---

١ - قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني، في كتابه " حلية الأولياء " (المجلد الثالث - الصفحة ال ١٩٦ -) ذيل ترجمة " الإمام الناطق، ذو الزمم السابق، أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق - "، بالإسناد عن عمرو بن جميع قال:

" دخلت على جعفر بن محمد أنا وابن ليلى وأبو حنيفة "، وبالإسناد عن عبد الله بن شبرمة، قال: " دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد " فقال لابن أبي ليلى: من هذا معك؟ قال: هذا رجل له بصر، ونماز في أمر الدين قال: لعله يقيس أمر الدين برأيه. قال: نعم. فقال جعفر لأبي حنيفة ما اسمك؟ قال: نعمان. قال: يا نعمان هل قست... " بعد كلام طويل فقال: يا نعمان حدثني أبي عن جدي أن رسول الله (ص) قال: أول من قاس أمر الدين برأيه إبليس. قال الله تعالى له: أسجد لآدم. فقال: " أنا خير منه خلقتني من نار، وخلقته من طين " فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بإبليس لأنه اتبعه بالقياس ".

قال الحافظ بعد ذلك:

" وزاد ابن شبرمة في حديثه: ثم قال جعفر: أيهما أعظم، قتل النفس أو الزنا؟ قال: قتل النفس. قال: فإن الله عز وجل قبل في قتل النفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة. ثم قال: أيهما أعظم: الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة. قال: فما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة فكيف، ويحك، يقوم لك قياسك؟ اتق الله ولا تقس - الدين برأيك. "

فارسي، لا نعرف مؤلفه، ولا تعلم غرضه، ولا تدري حد اطلاعه وعلمه، ولا حد معرفة المترجم وإحاطته على ما ترجم، ثم تستند إليه، وتذكرة في مثل هذا المؤتمر – العظيم، الغاص بالعلماء الكبار، من جميع ممالك العالم وتمام الأقطار؟

– ١٢ –

انعقد أيضا مؤتمر إسلامي في عام ١٣٨٢ ه. ق ببيت المقدس، وكان المؤتمر مخصوصا بالوفود من خصوص البلاد الإسلامية، وكانت الكلمات الملقاة، في كل – الخطابات، حول قضية " الجزائر " وقضية " فلسطين "، وفي ما ألقيت من الخطاب قلت بعد الحمد والتصلية:

" روينا بالإسناد الموثق (عن طرق متعددة) عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " من أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم " ونحن وأنا تابعوا الإمام مهتمون غاية الاهتمام بأمر الجزائر المظلومة، فلسطين المغصوبة، وتابع لكم في ما ترون لحل هذه المشكلة المؤسفة ولكني، وأنا من المسلمين، لي ما لهم وعلي ما عليهم، أعتقد أنه يجب علي أن أشير هنا ما يهم الإسلام والمسلمين جميعا، وهو أنه لما دعاني في إيران، الزعيم الأكبر، البروجردي، (قدس سره)، وطلب مني الحضور في هذا – المؤتمر بنيابته (على ما عبر)، ظننت أن المؤتمر، الذي دعا ذعيما عظيما كالبروجردي انعقد لا محالة للبحث عن أمر أوسع، وأنفع، وأرفع، انعقد للبحث عن عالم الإسلام وعما أورث للمسلمين، الذين تقدموا في الصدر الأول، تقدما علميا وعمليا، تقدما امارية وإداريا، واستولوا في أقل مدة تتصور، على غرب العالم وشرقها، هذا الضعف المفرط المؤسف، بحيث صار الخائف من شوكتهم، الخاضع لقدرتهم، حاكما مهيمنا عليهم في بيتهم، وظل المضروب عليه الذلة والمسكنة، غاصبا لأرضهم، هاتكا لعرضهم، مشردهم عن مكانهم، مهددا لكيانهم.

ثم أشرت إلى ما كان المسلمون عليه، في الرعيل الأقدم، والصدر الأول، من

من قوة الإيمان والعقيدة، ووحدة الإرادة والكلمة، بحيث كان عنوان " الإسلام " وعنوان
" المسلم " من أية جنسية كان المسلم، وفي أي قطر من الأقطار، عنوانا جامعا للشتات، رابطا
للمتفرقات، ونقطة مركزية تدور على محورها آلاف وألوف من المسلمين، كل منهم يفتدي بماله ونفسه وعياله في سبيل حفظ ذلك العنوان الجامع، ولبسطه واعتلائه، ويعتقد أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، ويجتهد ويجاهدان بأن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا، فكان الإسلام بمجاهدتهم ووحدتهم كما أرادوا وأحبوا، والمسلمون
على ما يليق بشأنهم وعلى ما شاؤوا.
وأصبحوا في عصرنا من ضعف الإيمان، والتشتت والافتراق، والعصبية والعناد، بحيث قدموا الجنسية على الإسلام فنرى، حتى في هذا المؤتمر الذي انعقد باسم " الإسلام "، يؤخر اسم الإسلام عن " العروبة " فيهتف بعنوان " العروبة والإسلام! "
ويؤخر اسم المسلمين عن " العرب " فينادى جهارا بعنوان " العرب والمسلمون ".
جاء السلام لتوحيد البشر من العرب والعجم " وشاء أن يكون عنوان الكل " المسلم " وقضى
على سائر العناوين مطلقا فمن يبتغ غير " الإسلام " شأنا وسوى " المسلم " عنوانا لن يقبل منه، ويكون من الخاسرين. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فيصيروا من الأذلين الهالكين.
ثم اقترحت لمسألة الجزاير وفلسطين، ولما ينفع عامة المسلمين، ويورث – الاتحاد والاتفاق، وينتج القوة والقدرة، ويجدد الشوكة والعظمة، ما تلقته الجماعة بالقبول والتحسين ١.

---

١ – كان في ما اقترحت لمسألة الجزائر وفلسطين أن يدعو زعيم مملكة الأردن، زعماء البلاد الإسلامية من كال الافطار فيشاورون ويتخذون الرأي النهائي ويعتزمون على العمل به، ويقدمون للعمل بلا تريث وتلبث، ومن دون تسامح وتساهل. ومما اقترحت لما ينفع الإسلام وعامة المسلمين أن يتوافق الزعماء على اتحاد برنامج التحصيل والدراسة في مدارس بلادهم للشبان في الدورة الأولى والثانية كي يتأدبوا على التفاهم بينهم ويربوا على وحدة الفكر ويشبوا على الإيمان الراسخ المتين بأنهم " الأعلون " إن كانوا مؤمنين.

- ١٣ -
لما انقضت الجلسة الرسمية، واجتمعت أعضاء المؤتمر في محل صرف - الشاي، قال لي شاب فاضل، كان من أساتذة كلية الشريعة بجامعة الليبية متعجبا: هل يكون للشيعة، والتحديث والإسناد؟! وقال شيخ من وفد الحجاز فاضل: أليست - الشيعة تقول عند الصلاة: " خان الأمين "؟ فقلت للأول: لعن الله العصبية الموجبة للافتراق بحيث لا نعرف، وأنت من العلماء ومن الأستاذة، إن الشيعة لهم أصول مسندة إلى أهل بيت الرسول، وهم متمسكون بالعترة كما أمر الرسول. وقلت للثاني بعد استيضاح المراد منه: ليست هذه النسبة إلى الشيعة سوى افتراء واختلاق، وليست هذه الفرية والبهتان إلا لتوليد الاختلاف والافتراق. وأنا، والله العظيم، ما سمعتها من أحد من الشيعة الإمامية. ثم لو تفوه بهذا الكلام، ونستجير بالله، أحد عند الشيعة كافرا بالرسالة ويحكم عليه بما يحكم على من أنكر الرسول بل وأنكر الله وملائكته.
ومن العجيب المولم وجود هذه العصبية الجائرة على الشيعة، حيث إن سائر - الفرق الإسلامية حتى أهل العلم منهم لا يراجعون إلى الكتب الموجودة المطبوعة التي يغلب عددها على الاحصاء، وألفها علماء الشيعة في العلوم الإسلامية من التفسير والفقه والحديث والرجال والدراية وغيرها وهي مكتوبة باللسان العربي، ولا يطلعون عليها فيقولون في حقهم ما لا يعلمون من قول الزور وينسبون إليهم ما لا يعرفون ولا يناسب
بشأنهم، من الباطل والغرور.
فاعتذرا بأن ورود الكتب من تآليف الشيعة في بلادنا ممنوع من جانب الحكومة مطلقا، ولذلك لم يتيسر لنا المراجعة وما وافقنا التوفيق للمطالعة.
قلت لهم: وهذا أيضا من سيئات العصبية الغاشمة، التي تكون الشيعة بريئة عنها، وذلك لأن في كل بلد من بلاد الشيعة مكاتب عمومية، ممتلئة من الكتب - الإسلامية، من دون فرق بين المذاهب، وعلماء الشيعة يراجعون فيها، ويستفيدون منها

منها بالفكر الحر وبلا عصبية، فيستمعون القول ويتبعون أحسنه. ولعله لا توجد لعالم شيعي، أينما كان، مكتبة شخصية خصوصية خالية من مؤلف لإخوانه من أهل السنة سواء كان في التفسير، أو الحديث، والفقه، أو غير ذلك، وكيف لا والشيعة تطلب – الهداية والحقيقة، وتسعى لإدراك الحق، وتكابد للوصول إلى النجاة والرشاد، وتريد الحكمة التي من ضالة المؤمن وتأخذها أينما وجدها؟

فهذا كتاب " مسائل الخلاف " للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المعروف بشيخ الطائفة (المتوفى سنة ٤٦٠ ه. ق) يحتوي على مذاهب أكثر الفقهاء، البائدة منها، كمذهب الشعبي، والأوزاعي، والطبري، والأصفهاني (داود بن خلف الظاهري) وغيرهم والباقية منها كالمذاهب الأربعة للأئمة الأربعة (نعمان ثابت الإيراني – أبو حنيفة – مالك بن أنس، محمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن محمد بن حنب المروزي) ثم المؤلف يقارن بين تلك الآراء وبين ما ارتضاه رأيه، واقتضاه مذهبه، فيستدل لما اختاره، وافق مذهب غيره أو خالفه.

هذا شأن الشيعة، المأخوذ من القرآن والسنة، بإرشاد من أهل البيت وعترة الرسول، حتى ولو كان بعنوان الرد وعدم القبول!

– ١٤ –

ويناسب في هذا الموضوع أن يقال: بماذا يصح أن يتعذر أعظم علماء الحديث عند أهل السنة، البخاري (محمد بن إسماعيل) حيث ترك التحديث عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالصادق، الراوي عن أبيه عن آبائه عن جده رسول الله (ص)؟

والإمام الصادق هو الذي لو كان ريب في عصمته وإمامته! لا مجال للريب في زهده وتقواه وعلمه وهداه. وهو الذي كان أبو حنيفة يعظمه ويبجله، ويستفيد منه، ويتواضع به وهو الذي كما في الحلية لأبي نعيم " حدث عنه من الأئمة والأعلام

مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج وسفيان الثوري وابن جريج وروح بن القاسم وسفيان بن عيينة، وسليمان بن هلال و... و... و... في آخرين. وأخرج عنه مسلم بن الحجاج، في صحيحة، محتجا بحديثه ".

وهو الذي نقل عن الإمام مالك بن أنس أنه قال في حقه: " ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن الصادق فضلا وعلما وهو الذي كان الإمام الشافعي يعترف بعظمة مقامه. وهو الذي كان أصحاب بحثه والمستفيدون من مجلس درسه نحوا من أربعة آلاف (على ما هو المشهور) وكان

أصحابه الخاصة الذين دونوا ما أملاه عليهم من الأحاديث عن آبائه عن جده رسول الله (ص)

أربعمأة نفرا، وصارت هذه الأمالي مشهورة في الشيعة بعنوان " الأصول الأربعمأة " ومن تلك الأصول استخرجت " الأصول الأربعة " المعروفة، المتداولة، التي للشيعة بمنزلة الصحاح الستة، لأهل السنة، (وهي " الكافي " و " فقيه من لا يحضره الفقيه " و " التهذيب " و " الإستبصار " للمحمدين الثلاثة: الكليني والصدوق والطوسي رحمهم الله تعالى.

قال ابن خلكان في الوفيات " الجلد الأول - الصفحة ال ١١٢ - طبع طهران -): " أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق بن... كان من سادات أهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر. وله كلام في صنعة الكيمياء وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر بن صادق وهي خمسمائة رسالة... "

وفي " الروضات " (الصفحة ال ٦٩٨):

" ونقل عن الذهبي أنه قال في كتاب ميزانه عند ذكره وبيانه لمرتبة الإمام جعفر بن محمد الصادق: بر، صادق كبير الشأن لم يحتج به البخاري " مع أنه يروي كثيرا في صحيحة، كما حكى عن صريح شارحة الفاضل العيني، عن عمران -

بن الحطان، الخارجي، المادح لعبد الرحمن بن ملجم المرادي وقتله أمير المؤمنين ١.
" واعترف الحاكم بن البيع النيسابوري في ما نقل عن كتابه المشهور في معرفة أصول الحديث، بأنه: احتج البخاري بأكثر من مأة رجل من المجهولين! وصح عند العلماء أنه يروي عن ألف ومأتي رجل من الخوارج.
" وقال له الإمام أحمد بن حنبل: سميت كتابك " صحيحا " وأكثره رواية الخوارج. وحسبه قاضي بخارا لما قال له: لم رويت من الخوارج؟ قال: لأنهم ثقات لا يكذبون ".
ثم لو فرض أن جفر الصادق وآباؤه: باقر العلوم وزين العابدين وسيد شباب أهل الجنة وباب مدينة العلم لم يكونوا أئمة معصومين، وهداة مهديين وعترة سيد الأنبياء والمرسلين ولم يكن كل واحد منهم في زمانه أزهد واتقي وأصلح وأعلم بأحكام الشرع وعلوم الديني ألم يكونوا علماء صلحاء، أصدقاء، أتقياء أيضا؟
وألم يكن اتصالهم الروحي وقرابتهم الجسمي من الرسول (ص) أبين وأشد؟ وألم يكن علمهم مأخوذا عن جدهم، مستندا إليه؟ فلم لم يعبأ صاحب الصحيح بهم، ولم يعتد بشأنهم؟ مع أنه نقل كثيرا عن أبي هريرة الدوسي ٢ (الذي ضربه عمر، رض،

---

١ - قال - ملأ الله فاه من النار -:
" يا ضربة من كمي ما أراد بها * إلا يبلغ عند الله رضوانا
" إني لأذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا
" وهو المرادي الذي سفكت * كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
" أمسى عشية غشاة بضربته * مما جناه من الآثام، عريانا!! "
٢ - في صحيح البخاري (طبع عبد الحميد - الجلد الأول - الصفحة ال ٣٥ -) بالإسناد عن أبي هريرة قال: " حفظت من رسول الله (ص) وعائين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم ".
فلسائل أن يقول: أيها الصحابي بالله قل لنا ما كان في الوعاء الذي لم تبثه من - الأسرار التي أفشاها رسول الله (ص) لك! وكنت جديد الإسلام وكان تمام مدة صحابتك لم تبلغ أربع وسنة ولم يفشها للصاحب الصديق وللفاروق ولذي النورين وحتى لعلي أخيه وصهره وصيه وأول من آمن به وصدقه من الذكور، ولباقي العشرة المبشرة ولسائر صحابته المبجلة!؟ ثم إن قالها الرسول (ص) لك للبث والنشر فلم عصيته وحرمت الأمة عنها؟ وإن اختصها بك من جميع الأمة وكانت لك خاصة! فما معنى الاعتذار لعدم البث بقطع البلعوم والحلقوم!؟
وفي الصحيح أيضا (الجزء الثالث الصفحة ال ١٠٩ -) بالإسناد عنه أيضا: " يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار، لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله على ملأ بطني فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون "
أيها الصحابي المحترم! أنت تعترف بأن حديثك في الكمية (الاكثار) وفي الكيفية (مثل أحاديثه) مختلف لحديث سائر الصحابة، ولأجله قالوا (أي الصحابة) فيك ما قالوا،

ثم تعتذر بما كأنك تغافلت من أن كثيرا من الصحابة، كانوا أشد ملازمة، وأكثرها، سنك للرسول (ص) وكانت مدة صحابتهم أطول جدا وكانوا إليه أقرب ولاستماع الحديث ونقله أنسب. هب أنك كنت في مدة إدراكك الإسلام دائما مع الرسول وملازما له هل كانت هذه الأحاديث الكثيرة التي تحدث بها صدر عن الرسول وهو في خلوة معك ولم يكن أحد عنده سواك؟ أو اختار الرسول، لما يريد أن تعلمه أمته وتعمل وفقه، نجواك!؟

بالدرة لإكثاره الحديث وشاطر أمواله بعد عزله عن العمل) ونقل عن ابن حطان الخارجي
وغيره من الخوارج. لم كل ذلك أيها المحدث الخبير؟ أليست العصبية تزري بشأن – العلماء؟ عصمنا الله وجميع إخواننا المسلمين من اتباع الهوى وحفظنا مما يورث التخبط
في الردى.
ولما انجر الكلام إلى هذا المقام، نشير إلى ما ارتكبه عالم آخر من التعصب – الشديد، وهو السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي – ٧٢٧، ٧٧١ ه. ق –) مع أنه كما في مقدمة كتابه، طبقات الشافعية،
أخذ على شيخه الذهبي، ما ارتكب من التعصب وهجم عليه شديدا ففي المقدمة الكتاب
نقلا عنه، في ترجمة أحمد بن صالح المصري: " وأما تاريخ شيخنا الذهبي – غفر الله له – فإنه، على حسنه وجمعه، مشحون بالتعصب المفرط – لا واخذه الله –

فقد أكثر الوقيعة في أهل الدين، واستطان على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين، ومال فأفرط على الحشوية... هذا وهو الحافظ المدرة ١، والإمام المبجل، فما ظنك بعوام المؤرخين؟ "

فقد تعصب السبكي نفسه للإمام الشافعي تعصبا مفرطا وكأنه للحب صار أصم وأعمى كما سنورد كلامه السخيف وسترى.

وملخص ما جاء به في مقام تعريف الشافعي أنه أتى أولا بأخبار مسندا من هذا القبيل: " الناس تبع لقريش في الخير والشر " و " إن لله حرمات ثلاثا من حفظهن حفظ الله له أمر دينه ودنياه ومن ضيعهن لم يحفظه الله له شيئا. قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحمي " و " ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، عز وجل، " و " من أحب قريشا أحبه الله ومن أبغض قريشا أبغضه الله " و " كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي " و " إنما نحن وبنو المطلب هكذا " وشبك بين إصبعه. و " إنما نحن وبنو هاشم شئ واحد ثم أتى بأخبار في " موالاة قريش " و " أن الأئمة من قريش " و " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان ".

وبعد ذلك ادعى أن تلك الأخبار بعمومها، صدرت للدلالة على إمامة " أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المكي " وقال: " تكفي (أي هذه الأخبار

في عظمة مقامه ".

ثم بحث عن أمه فاطمة، وإنها هي من أحفاد حسين بن علي بن أبي طالب أو من قبيلة أزد، أو من قبيلة أسد، وتجشم لإثبات قول الأول كي يثبت شرفه من حيث الانتساب بآل بيت الرسول أيضا.

ثم استنتج من تلك المقدمات إن " الإمام القرشي، الذي لا يختلف عاقلان في أنه من قريش، هو الشافعي، رضي الله عنه، فهو المشهود له بالإمامة، بل بانحصار

---

١ - " المدرة " جمع " مداره ": السيد وزعيم القوم والمتكلم عنهم "

الإمامة فيه، لأن " الأئمة من قريش " يدل، بحصر المبتدأ، على الخبر، على ذلك ولا نعني بالإمامة، إمامة الخلافة بل إمامة العلم والدين، أو أعم من ذلك... "
" ولو أن أحدا من الخلق، غيره، ادعى أنه قرشي وأراد منا هذه المرتبة لقلنا له:
" أولا أثبت أنك قرشي، هيهات!...
" وثانيا ينبغي أن يكون من المتمسك من العلم والدين بحيث يكون من العلم والدين بحيث يكون من جملة القوم المشار إليهم في هذه الأحاديث... "
ثم أورد في تجليل الشافعي فصلا مشبعا، وفيه: إن الله تعالى كما استأثر لنبيه اسم محمد قبل النبي كذلك استأثر اسم محمد في قريش قبل الشافعي له!
وبعد ذلك زعم أنه كما ورد في حقه ما يدل على إمامته، بعومها، صدرت أيضا أخبار للدلالة عليها بخصوصها مثل " لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما ". " ولا تؤموا قريشا وائتموا بها، ولا تقدموا قريشا وقدموها، ولا تعلموا قريشا وتعلموا منها، فإن إمامة الأمين من قريش تعدل إمامة الأمين من غيرهم وإن علم عالم قريش ليسع طباق الأرض "
ثم نقل عن " أبو نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه " شرحا في بيان أن حديث " عالم قريش يملأ الأرض علما " لا مصداق له إلا الشافعي، وأنه إن نازع جدلي مغرور، وعارض بعلي وابن عباس فإنهما من علماء قريش فنقول له:
" من ذكرت وإن كان في العلم والدين بالمنزلة التي تفوق الشافعي إلا أن – التصانيف والشهرة! وكثرة الأتباع! مخصوصة بابن إدريس! " وبعد هذا النقل أورد السبكي رأي نفسه وقال:
"... وأنا أقول: ولئن سلمنا أن أمر من ذكرت كذلك، ولا والله لا نسلم ذلك إلا تنزلا ولا يعتقده إلا أحمق (!!) فنقول: الشافعي أيضا من علماء قريش... " الخ.

والآن فانظر إلى العصبية كيف صارت موجبة لغفلة هذا الرجل الفاضل عن الحق والعدل والإنصاف فأورد أخبارا منافيه للأخبار المستفيضة بل المتواترة التي بصراحتها تدل على أنه لا فخر لقرشي على حبشي، إلا بالعمل الصالح، بل معارضة للقرآن - المجيد بأن " أكرمكم عند الله أتقاكم " حرصا على أن يرجح مذهب الشافعي، لكون
مؤسسة قرشيا، على باقي المذاهب الأربعة، وغفل عن أن جل هذه الأخبار التي صرحت فيها بكلمة " قريش " موضوعة في زمان بني أمية وإلا فما معنى لزوم " موالاة قريش " على الاطلاق وفيهم البر والفاجر والمؤمن والكافر؟ وعلى ما يحمل قوله " من أحب قريشا أحبه الله ومن أبغض... " ومن قريش أبو لهب وحمالة الحطب "
وأما الخبران اللذان صرح فيها بكون " الأئمة من قريش " وبأنه " لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان " فالمراد منها أئمة الشيعة، ولا سيما الثاني منهما حيث
لا ينطبق إلا على ما عليه الشيعة، فإن الأمر زال عن قريش بانقراض خلافة آل العباس وكيف كان ليس في هذا العصر إمام من قريش (خليفة للرسول) إلا على ما اعتقدت - الشيعة.
وأما الأخبار التي جئ فيها بلفظ القرابة والرحم فانطباقها على عترة الرسول وآله وأبنائه من بنته، أظهر من أن يجترئ من له حياء العلم، أن يصرفها منهم ويرجعها إلى من بينه وبين الرسول في سلسلة الأجداد نحوا من عشرة فاصلة.
والخبر الذي فيه " الإمامة والايتمام والتعليم والتعلم، وإن إمامة الأمين من قريش تعدل إمامة الأمين من غيرهم! " فوضعه غير محتاج إلى البيان والتوضيح، وكذا خبر " الناس تبع لقريش في الخير والشر " لوضوح عدم جواز التبعية في الشر ، إن فرض كون الخبر على سبيل الانشاء والحكم، وعدم صدقه إن فرض كونه خبريا لأن " الناس " على إطلاق الكلمة لم يكونوا ولا يكونون تبعا لقريش في أي زمان اللهم إلا أن يكون المراد من " الناس " جمع خاص ومن " قريش " أيضا أفراد مخصوصة!.

وأما استيثار الاسم (لو فرض أنه فخر) فانظر ما صنعت العصبية بأهلها حيث تغافل عن أن من سماه الرسول من عترته " باقرا "، لأنه يبقر العلم، كان اسمه محمد ١ وهو محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد توفي قبل ولادة الشافعي بأكثر من ثلاثين سنة.
ولعمر العلم والعدل إني أستحي من الحق أن أقول شيئا في ما تعصب أخيرا من جسارته في حق باب مدينة علم الرسول، الذي قال الشافعي نفسه حين قيل له في مسألة: ما تقول فيها يكون على خلاف رأي علي فقال: أثبت لي قول علي فيها حتى أضع خدي على الأرض تجاه قوله.
ولنقطع الكلام مع السبكي بتذكار ما يجب تذكاره له، وهو أيها المتعصب في غير موضعه:
أما كان جعفر بن محمد الصادق قرشيا؟ أما كان قرابة رسول الله ورحمه؟
أما كان الشافعي استفاد منه بواسطة شيخه مالك بن أنس، أما كان علمه وسع طباق – الأرض؟ أما كان تابعوا مذهبه في كل الأقطار؟ أما كان من استفاد منه بلا واسطة أكثر من آلاف؟ وأما كان مقدما على الشافعي في الدين والزهد والعلم والزمان؟ وأما؟ وأما؟ وأما؟ فكيف غفلت أو تغافلت عنه وأنت في رأيك وباعتقادك، لست من عوام المؤرخين! وتنتقص من شيخك الذهبي! ولم نسيت أو تناسيت ابن رسول الله الإمام الصادق؟ واشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق.
ثم أقول: إني ما أردت مما قلت، الانتقاص، والعياذ بالله، عن الإمام الجليل – الشافعي القرشي، رحمه الله، وكيف وهو فحل الفضيلة والمنقبة وبحر العلوم وفخر الفضل
وهو الذي يعرف حق آل محمد الذين وجب حبهم وفرض في الصلاة ذكرهم ويقول:

---

١ – هذا من ذرية الرسول وأبنائه وأما من غير الذرية فمحمد ابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ع) وغيره من أولاد الصحابة مثل محمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن عمرو العاص.

إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان إني رافضي

ويقول أيضا، على ما حكى من الصواعق لابن حجر المكي:

يا أهل بيت رسول لله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر إنكم * من لا يصلي عليكم لا صلاة له

بل أردت أن أشير إلى تعصب من لا يليق به التعصب بحيث يغمض عينه، ويرخي السدول بين الحق وبينه، ويترك ما يجب أن لا يترك، ويمسك عن إظهار ما لا يجوز أن يمسك، بل ويتكلم بما يهزء منه الحق والعدل، ويسخر به الأدب والعلم والفضل.

- ١٦ -

نرجع إلى ما كنا فيه في جلسة المؤتمر فقلت أخيرا وأتممت به الكلام:

" نعم يا إخواني الأعزة، إن في طريق أسنادي في ما أجازني مشايخي، رحمهم الله محمد بن مكي العاملي، المقتول بسيف العصبية والمعروف عند الشيعة بالشهيد (المقتول في سنة ٧٨٦) الفقيه الأديب الزاهد الذي قلما يوجد له نظير في الإسلام وكان له إجازات كثيرة للتحديث عن أكابر مشايخ أهل السنة، تربو على سبعين مشيخة الإجازة وشيوخها!

هكذا كان دأب علماء الشيعة وديدنهم في طلب العلم وكسب الفضيلة وإدراك الحق والحقيقة من دون تعصب وحمية جاهلية، وكذلك كانت المعاملة معهم من - العلماء!! وأقول وبه أختم الكلام وأنا الضعيف الذي ليس إلا من أصاغر طلبة العلم،:

---

١ - " قتل بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام، بالسيف، ثم صلب! ثم رجم! ثم أحرق! بدمشق بفتوى القاضي برهان الدين! المالكي وعباد بن جماعة! الشافعي "

أعلن عندكم إن معرفتي بالأئمة الأربعة وترجمة حالهم بل وغيرهم من أئمة الفقه من أكابر علماء أهل وأقوالهم في الفقه وأصوله والحديث والتفسير لعله لم يكن بأدون من معرفة كل واحد منكم في مذهبكم وقد راجعت كتبهم وطالعتها كرارا بلا تعصب
لا لأي شئ آخر سوى شوق العلم، وحب درك الحق. وراجعت صحيح البخاري وطالعتها مرتين من أو له إلى آخره. والحمد الله وله الشكر.
- ١٧ -
لا أنسى ما حصل لي من التأسف والتلهف مما رأيت من العصبية حين تشرفت بالمدينة المنورة، بعد التشرف إلى مكة المعظمة، زادها الله شرفا وتعظيما، لأداء - العمرة، وكنت معتكفا في مسجد النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، فرأيت شابا جالسا، قريبا مني، وبين يديه عدة كتب، فظننت أنه من طلبة العلم، وأحببت أن إجلس معه وإذا كره، واستفيد منه، فقربت إليه، وسلمت عليه، واستأذنت عليه. وأظهر أنه من طلاب كلية الشريعة بالمدينة. وسأل هو مني بلدي ولما سمع إني من إيران، انقلبت حاله، واسود وجهه، وتبدل بشه وبسمه، وقال بلحن خشن، وتعبير خفيف ما مذهبك؟
قلت: مسلم، يا أخي المسلم. فما لبث أن قال: أنتم تقولون عقيب الصلاة: " خان الأمين "!
قلت: كلا يا أخي. هذا افتراء عظيم. كيف ونحن نعتقد أنه لو قاله أحد، لكان منكر الرسالة، كافرا، يجب أن يعامل معه معاملة الكافر المرتد.
قال: والله لقد سمعت بأذني، هاتين، من قاله منكم!
قلت: أنت مسلم، ولا يسع لمسلم أن يكذب مسلما، فلا أكذبك وحتى لا أقول لك: من أين علمت أنه كان منا ولم يكن عدوا لنا، شيطانا مفرقا بيننا؟ ولكني وقد ذرف عمري على ستين عاما، وسافرت أكثر بلاد إيران، وعاشرت كثيرا من - الإيرانيين، وحضرت الجماعات والجمعات، أقول:

والله ما سمعت إلى الآن أحدا من الشيعة الإمامية تفوه بذلك، وما رأيت أحدا ذكر لي أنه سمع أحدا من الشيعة الإمامية أتى بهذه الكلمة المنكرة، الخارج قائلها من الإسلام، قبل الصلاة أو بعدها أو في وقت آخر.
فاشتد تحوله بحيث صار وجهه مسودا، وما أسرعه أن قال:
" والله لو كان عمر بن الخطاب حيا لأخرجكم من المدينة "! ثم أضاف إلى ذلك:
" والله لو كان علي بن أبي طالب حيا لجز رؤسكم "! وأشار بيده إلى حلقومه!
أخذتني الحيرة والدهشة من نسبة تلك الكلمة المنكرة، وادعاء السماع شخصا ممن هو في طريق كسب العلم وينبغي أن يكون صادقا بار ا رؤوفا، مقرونا بالقسم المؤكد،
ثم من الحلف المؤكد أيضا لبيان رأي الخليفتين: عمر وعلي، بالإخراج! وجز – الرؤس!، فكأنه يعلم الغيب ويكون عارفا بما في قلوبهما، من دون شك وريب.
فقلت: على رسلك أيها الأخ الفاضل المسلم ومهلا، هل أنت تزعم أن إيماننا وإقرارنا بوحدانية الله جل جلاله وبرسالة نبيه الخاتم، واعتقادنا بأن ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة، حق لا يأتيهما الباطل، يوجب أن يخرجنا عمر (رض) من مدينة الرسول (ص)؟
أو تعتقد بأن إقامتنا الصلاة في أوقاتها الخمسة، ونولي وجوهنا شطر الكعبة – المقدسة، وصيامنا شهر رمضان، وإيتائنا الزكاة، وتحملنا وعثاء الطريق، ومشاق السفر، وإنفاقنا أموالنا التي كددنا لكسبها إيماننا، وأتعبنا أنفسنا، وإتمامنا – الحج والعمرة، كل ذلك بالطوع والرغبة والشوق والفرحة، يحمله على إخراجنا؟
أم لأننا نحن الإيرانيين من صدر الإسلام ومن حين تشرفنا بشرافة قبوله لم نأل جهدا ولم نقصر اجتهادا في سبيل علوم العربية والإسلامية تأسيسا، وتكميلا، توضيحا وتقريرا، تحقيقا وتعليقا يبعثه أن يخرجنا؟!
تفضل أيها الأخ وقل لي، إن كنت تدري:

من الذي كتب في علم النحو بادي بدء بأمتن وضع؟
ومن الذي أسس علم البلاغة وشيد أساسه وبنيانه؟ وألف فيه وأبرز عنيانه؟
ومن الذي كتب التاريخ المعتبر المعتمد والتفسير الذي هو المستند؟ أليسوا هم الإيرانيين؟
أليس إمامكم الأعظم أبو حنيفة من إيران؟
أليس مؤلفوا الصحاح الستة كلهم إيرانيين؟
أليس أكثر فقهائكم الأعظم من إيران؟
أليس جل رؤساء الكلام من الأشاعرة والمعتزلة وأغلب من أخذتم بيان الأصول والفروع وتقريرهما منهم، من أهل إيران؟
أليس المتتبعون في لغة العرب، المؤلفون فيها، والمحققون في الصرف والنحو والاشتقاق وغيرها من علوم الأدب أكثرهم من إيران؟!
أتظن أن جزاء هذه الأعمال أن يخرجهم عمر (رض) من مدينة الرسول بالإذلال؟!
كلا ما هكذا الظن بعدالة عمرو كياسته.
وبأخرى أليس يا بني الشفيق! الإيرانيون في الحجاز أضياف الله وأضياف رسوله وأضياف خلفائه وأضيافكم الذين تفتخرون بالقرى وتقولون " لنا جفنات الغر يلمعن في الدجى! " فكيف تزعم أن عمر (رض) وهو رأس العرب يخرج الأضياف عوضا عن أن يكرمهم؟!
ثم يا أخي الفاضل!
بأي ذنب أذنبناه ولأي جرم أجرمناه ومن أي إثم ارتكبناه،
لو كان علي (ع) حيا لجز رؤسنا؟
إلا أننا آمنا بالله ورسله وملائكته، وعرفنا من حق علي ما عرفه به الرسول؟
أم لأنا أطعنا الرسول في التمسك بكتاب الله وعترته؟
أم لأنا أجبنا الرسول وتقربنا إلى الله بمحبة آل الرسول وذوي قربيه؟

ثم أقول لك أيها الشاب العزيز: إني أجل الله جل جلاله، من أن أحلف به في ما أنا معتقد به جزما ويكون صادقا قطعا، وهو أنه لو كان رسول الله شاهد ما نحن فيه، ورأى أن مسلما في مسجده، وبعد تمام حجه، تقرب إلى أخيه المسلم، بظنه، خالصا مخلصا محبا له من صميم قلبه، لا لأي شئ سوى أنه أخوه في الدين، وأراد أن يألف ويأتلف، وأن يستفيد من علمه، ويغترف من فضله، ولم يأت بكلمة غير الاقرار

بأنه مسلم، فقوبل بما قلت، وحلفت بلا بينة وبرهان، لبكى على غربة الإسلام، وعلى عصبية من يدعي الإيمان بل وضج على ما نسبت إلى عمر وعلي من الافتراء والبهتان.

- ١٨ -

تلك الأقوال والأفعال، التي مر أنموذج منها،

الصادرة عمن ينتمي إلى العلم،

ويدعي خلوص الإيمان والإذعان بالإسلام، ولعله يعتقد أنه يروج الإسلام بأقواله، ويؤيده بأفعاله، هي التي تورث الأسى، وتحدث الأسف، وتتجلى منها أن شيعة علي وتابعوه غدت مظلومة، فلم تعرف معتقداتها وانثالت عليها من العصبية ومفترياتها [١]

ولا بدع في ذلك فإن عليا نفسه أيضا، كما صرح، كان مظلوما.

قال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة (ذيل ومن كلامه له عليه السلام لأصحابه: " إما أنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب - البلعوم...):

" وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: سمعت عليا وهو يقول: ما لقي أحد من الناس ما لقيت. ثم بكى "

---

١ - وليت شعري كيف يجترء على الله من يدعي العلم والإيمان بالله، أن يقول ويكتب في حق من آمن بالله ورسوله وصدق كتابه المجيد وعمل بما جاء به وجاهد في سبيل إعلاء كلمة الدين وكابد في نشر معالم الإسلام خالصا مخلصا، ما يستحيي المروئة والإنصاف عن ذكره؟ أليس من الافتراء والبهتان والاجتراء على الله أن يقول مسلم إن الشيعة هم اليهود والمجوس!؟

لا أقول فض الله فاك أيها القائل وتبت أصابعك ويداك أيها الكاتب بل أقول: اللهم اهد قومنا فإنهم لا يعلمون وعليك وعلى رسولك يجترئون.

وقال أيضا في ذاك الموضع من شرحه، بالإسناد عن مسيب بن نجية أنه قال:
بينا علي يخطب ذا قام أعرابي فصاح: وامظلمتاه! فاستدناه علي. فلما دنا قال له: إنما لك مظلمة واحدة. وأنا قد ظلمت عدد المدر والوبر "
وقال أيضا، بعد ذاك الكلام،:
" وفي رواية عباد بن يعقوب: أنه دعاه فقال: ويحك! وأنا والله مظلوم.
هات فلندع على من ظلمنا "
- ١٩ -
ولعله، وانتهى الكلام إلى المظلومية، كان من المناسب أن نذكر هنا ما اختلفت - الشيعة وغيرها فيه، ونشير إلى أن وجه الاختلاف، عند التأمل والإنصاف ليس بمثابة يورث هذه العصبية الظالمة من إخوانهم المسلمين ويوجب استحقاق القدح والتوهين فهم، في الحقيقة، مظلومين كما كان كذلك إمامهم علي أمير المؤمنين ١.
فاعلم أن اختلاف بين الفريقين يؤل إلى موضوعين: الفروع، والأصول (على ما تعتقد الشيعة في الإمامة وتقول).
فأما الأول، وهو الاختلاف في بعض الأحكام والفروع:
مما لا ارتياب فيه إنهم وغيرهم متفقون في أن الكتاب ثم السنة المعتبرة أصلان أساسيان لاستنباط الأحكام، ويجب على كل مسلم مجتهد أن يستند بهما في استخراج الوظائف المقررة، والتكاليف المشروعة، فيعمل بما ثبت له من الأحكام بهذا الطريق.
فلزوم الاستناد بهذين الأصلين مجمع عليه بين الفريقين وإنما الاختلاف

---

١ - كتب علي في ما كتب إلى معاوية جوابا " وهو من محاسن الكتب ":
" وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك فيكون العذر إليك...
" وقلت إني كنت أقاد الجمل المخشوش حتى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه، ولأمر تابا بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها... "

في ما يصح الاستناد به في ما لم يوجد فيه نص في الكتاب ولا في السنة، وهذا الاختلاف
ليس مخصوصا بأحد الفريقين بل المذاهب كلها فيه سواسية. والإجماع، وسيرة أهل – المدينة (على رأي الإمام مالك) والعقل والقياس، والاستحسان، والمصالح المراسلة وإن كان لكل قائل بصحة الاستناد في مذهب ولكنه ليس الكل مورد الإنفاق للكل بل وحتى ما يكون حجيته منسوبة إلى مذهب ليست حجيته مجمعا عليها في ذاك – المذهب، وعى أي حال لكل مذهب حجة على ما اختار وإليه ذهب.
وهيهنا اختلاف آخر ليس هو أيضا مخصوص بمذهب دون مذهب وهو في ما به يتحقق اعتبار السنة من حيث السند.
فالشيعة تعتبرها إذا كان الإسناد فيها عن
عدول ينتهي إلى أهل البيت وعترة الرسول (المعهودين) ومنهم إلى جدهم، أو كان عن عدول ينتهي إلى أحد من الصحابة الذين ثبتت عندها عدالتهم، وغير الشيعة لا يلتزمون بذلك بل قل ما أن يستندوا بحديث كان بذاك الإسناد، بل قد يعبرون لإثبات ضعف حديث عن طريق ولطرحه وجرحه بأن " فيه فلان وهو رافضي – أو شيعي –! " أو " رافضي خبيث! " أو " رافضي كاذب " أو " شيعي لا يعبأ بقوله! " وأحسن تعبيرهم في المقام " إنه متهم " أو " متهم بالرفض – أو التشيع " والعجيب المؤسف إنه قد يصرحون
بكون رجل من الشيعة " موصوفا بكثرة العبادة " أو " غير كاذب " أو " موثقا عند يحيى
بن معين " (وهو أحد الخراريت عندهم، كالإمام بن حنبل) ومع ذلك لا يعتبرون قوله (مع اعتبارهم قول الخوارج، باستناد عدم كذبهم! ") ١

---

١ – ويكفي للأنموذج والمثل أن تنظر إلى ما أورده العالم المفضال، السبكي في كتابه " طبقات الشافعية " وترى التعصب في ما قال. قال بإسناده عن أبي الصلت، عبد السلام بن صالح الهروي أنه قال: " حدثنا علي بن موسى، الرضا، بن جعفر بن محمد بن علي – بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، عن علي أنه قال: قال الرسول الله (ص): " الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان "
ثم قال السبكي: إن مدار هذا الحديث علي بن أبي الصلت، وهو، وإن كان موصوفا بكثرة العبادة، غير محتج به عند المحدثين! قال الدارقطني:
" رافضي خبيث، متهم بوضع
حديث الإيمان " وقال العقيلي: " رافضي خبيث " وقال أبو حاتم: " لم يكن عندي بصدوق " وقال ابن عدي: " متهم " وقال النسائي: " ليس بثقة " ومع هذا الجرح لا يعتبر قول عباس – الدوري: " إن يحيى كان يوثقه "! ولا قول ابن محرز: " إنه ليس ممن يكذب "!
وأبو الصلت هذا هو الذي حدث عنه أبو نعيم الأصفهاني في " الحلية " بإسناده عن
" أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي حدثنا علي بن موسى، الرضا، حدثني أبي،

موسى بن جعفر، حدثني أبي، جعفر بن محمد، حدثني أبي، محمد بن علي، حدثني أبي، علي بن الحسين بن علي، حدثني أبي، علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم حدثنا رسول الله (ص) عن جبريل عليه السلام قال: قال الله عز وجل: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني، من جائني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي ".

ثم قال أبو نعيم: " هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين. وكان بعض سلفنا من الحدثين إذا روى هذا الإسناد، قال: " لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق " فانظر ما أورده أبو نعيم ووازنه مع ما أورده السبكي تعرف ما تفعل العصبية. (المجلد الثالث – الصفحة ال ٩٢ –)

على أن رأي غير الشيعة في معنى " العدالة " وتحقق حقيقتها، يكون أوسع حيث إنهم اعتقدوا أن مجرد " الصحابة " محقق للعدالة فكل صحابي عندهم عادل ولكن – الشيعة لا تعتقد بكفايتها مجردة لأن تتحقق " العدالة " بل " الصحابة " قد تجتمع مع العدالة وقد لا تجتمع فليس بينهما ملازمة فيمكن أن يكون صحابي غير عادل كما يكون عادل، غير صحابي.

وعلى أي حال، الاختلاف في اعتبار السنة من حيث السند، مع غمض العين عن كون وجه الاعتبار عند الشيعة أقوى وأوثق، وإلى الاحتياط في الدين أقرب وأوجه، دليلهم للاعتماد أصح وامتن، أيضا لا يختص الشيعة به، بل في كل المذاهب – الإسلامية يوجد الاختلاف بين العلماء في رجال الإسناد ولهذا يعد حديث عند بعض صحيحيا أو قويا أو حسنا وعند بعض آخر ضعيفا غير معتبر (ولذا أسسوا وابتكروا علماء الإسلام علمي الدراية والرجال).

وكيف كان، هذا النحو من الاختلاف ليس مما يضر بأصل الدين ولا بركن من أركان الإيمان واليقين وليس مما يخرج أحد طرفي الخلاف عن الإسلام بن عسى أن يكون للأمة من مصاديق " اختلاف أمتي رحمة ".

وأما الثاني وهو الاختلاف في الخلافة، فالموضوع ذو وجهين: وجه الوقوع والتحقق، ووجه الواقع والحق.

ومن الوجه الأول فالكل متفقون على ما وقع في الخارج واتفق، وثبت في – التاريخ وتحقق، ولا ينكر أحد ما جرى من أمر الخلافة، ولا ينكر أن الشيخين (رض) كانا في مدة خلافتهما على ما يليق مقامهما، وإنهما جاهدا في حفظ الإسلام وبسطه وصيانة الدين ونشره، ولا ينكر إن عليا (ع) بايعهما، وإن كانت البيعة بعد كشف بيت فاطمة (ع)، وكانت بعد مدة لا تقل على أصح الأقوال، عن ستة أشهر، وكانت بالإكراه وبعد قول علي لأبي بكر، على ما نقل الطبري عن الزهري، ويجئ في موضعه في موضعه في الكتاب: " كنا نرى لنا في هذا الأمر حقا فاستبددتم به علينا " ولا يكر إنهما راعيا جانب علي (ع) بالمشاورة والمناصحة، وإن عليا لم يأل جهدا في إرشادهما إلى ما هو الصواب، بحيث اشتهر عن الثاني منهما كلمة " لولا علي لهلك عمر " واستفاض رجوعه إلى قوله في قدر ما يحل له أخذه لنفسه وعياله من بيت المال ١، ونقل تعوذه بالله، من معضلة ليس لها أبو حسن ٢، إلى غير ذلك، مما ثبت في التاريخ، وضبطه أئمة النقل والتحديث ٣.

---

١ – سيجئ نقل هذا الموضوع في موضعه من الكتاب، عن الطبري.

٢ – سيجئ في الكتاب نقلا عن " الإستيعاب، للفقيه الحافظ ابن عبد البر المالكي، بالإسناد عن سعيد بن المسيب أنه قال: " كان عمر يتعوذ بالله معضلة ليس لها أبو حسن ".

٣ – وبالجملة كان علي في زمن الخليفتين بحيث يرجعان إليه لا للمشاورة في الشؤون – السياسية والاجتماعية فحسب، بل يستفتون منه الأحكام الفقهية ويعلمون على ما يقول ويفتي. على أنه (ع) أيضا إن رأى انحرافا في حكم أرشدهم إلى رأيه ويصرح بخلاف ما هم عليه كي؟ لا يصير الأمر حكما دينيا مجمعا عليه فيصير في المستقبل حكما فقهيا مستندا بالإجماع.

ومن الوجه الثاني لا ينبغي الخلاف، بل ولم يتحقق الاختلاف (إلا من متعصب معاند رأى لا يرى الحق ولا يرعى الإنصاف والعدل) في أن عليا نفسه قال في موارد متعددة، نقله غير واحد من العلماء الثقات من أهل السنة، وضبطوه في كتبهم المعتبرة المعتمدة، بأنه لمكان قرابته الجسمية والروحية، ومقام فضائله - السامية، التي لا يساجلها، في مجموعها، أحد من الصحابة، أحق بالخلافة من غيره وإن الخلافة حق له، وشيعة علي تشايعه في هذا القول وتتابعه ١ (بل والأعاظم من علماء السنة يصدقونه ويتابعونه حيث يصرحون بجواز تفضيل المفضول على - الفاضل للخلافة).

- ٢٠ -

فالفريقان لا اختلاف بينهم في مسألة الخلافة باعتبار ما وقع في التاريخ أي في أن ثلاثة تقدموا زمانا على علي بالخلافة وتولوا أمور المسلمين قبله، وأيد الله الإسلام في زمانهم ببركة وحدة المسلمين وخلوص نيتهم وقوة مجاهدتهم.

وكذا لا اختلاف بينهم في كون علي أقرب الناس وأخصهم بالرسول وأجمع - الصحابة، كائنا من كان منهم، لجمع الفضائل بحيث لا يدانيه في جميع الفضائل الجمة أحد، صحابيا كان أو غيره، من الأمة.

وإن كان هنا اختلاف، فيكون في أن الشيعة تعتقد الإمامة لعلي، وتعتقد أنه يجب عليها وعلى كل مسلم كما صرح الرسول به أن يتمسك بعده بالقرآن وبالعترة وعلى رأس العترة، وإن اتخذ معالم دينها وأحكام فقهها عن علي ٢ وبعد علي عن

---

١ - قد جاد في ما أفاد خليل بن أحمد النحوي صاحب العروض في ما حكي عنه ونسب إليه جوابا عن السؤال للدلالة على إمامة الكل في الكل ".

٢ - قال علي (ع): " نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر - السطوة ".

عن أولاده، وذريته المعهودين، سلاسة سيد المرسلين، الأئمة المهديين الهادين، وإن تسير بسيرتهم وبالجملة أن تتمسك بهم في ما يروون عن جدهم الرسول (ص) ويبينون عن علمهم الموروث، كي؟ لا تضل وتكون على ما شاء وأراد جدهم المبعوث (ص) [1].

وذاك الاختلاف الاعتقادي لا يوجب كفر أحد الطرفين

وهدر دمه ومن حيث المتابعة في العمل أيضا لا يوجب الهدر والقتل إذ ليس فيها مخالفة أصل من أصول الدين وركن من أركان الإيمان وإلا فليكن المذاهب الفقهية – المتخالفة مخالفا للدين ومنافيا للإيمان هذا مع صرف النظر عن كون زعيم الشيعة وإمامها، علي نشأ ونما في بيت الرسول وفي حجره، ومنه بلا واسطة أخذ الدين وأعطى ما أخذه عن الرسول بأبنائه الطاهرين، وأبناء خاتم النبيين، وعلم ما تعلم من علمه وحكمته (ص) وأين هم من زعماء المذاهب الأربعة وغيرهم الذين لم يدركوا – النبي ولم يشاهدوه ولم يسمعوا منه، على أن الحصر في تلك المذاهب إن لم يكن إحداث

أمر ليس من الدين في الدين أي أن لم يكن الحصر بدعة، وكل بدعة ضلالة، فلا أقل – من أن يكون بلا دليل وبينه من الكتاب والسنة.

– ٢٠ –

الاختلافات الواقعة بين الناس، بلحاظ الدين، قد تكون في أصله وقد تكون في ما فيه.

فإن كان الاختلاف في الأصل فقد يكون بإنكار أصل وجود الدين ولزومه كما عليه الثنوية، والماديون والدهريون. وقد يكون بإنكار دين لاحق مع

---

١ – قال علي، ع، (نهج البلاغة): " فأين تذهبون وأنى تؤفكون! والأعلام قوائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، والسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن... "
وقال (ع) في موضع آخر:، فأين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، والسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن... "
وقال (ع) في موضع آخر: " إلا أن مثل آل محمد، صلى الله عليه وآله، كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم، فكأنك فد تكامات فيكم الصنائع، وأراكم ما كنتم تأملون "

مع تسليم دين سابق كما عليه اليهود بالنسبة إلى المسيحية والإسلام وهما كلاهما (أي – اليهود والمسيحي) بالنسبة إلى الإسلام.

وإن كان الاختلاف في ما في الدين، بأن يكون الانكار بالنسبة إلى أمر من – الأمور التي أتى به الدين فقد يكون ذاك الأمر من الضروريات في الدين، مثل إنكار – الصلاة وأضرابها من الفروع، في دين الإسلام، وقد لا يكون كذلك وهذا القسم قد يكون مما عليه نص في الكتاب أو السنة القطيعة، كحكم القصاص ووجوب النية في العبادات.

وقد يكون مما ليس فيه إلا ظواهر من الكتاب والسنة لا توجب القطع واليقين بما هو مراد الشارع، بل تحتمل وجها آخر أيضا، سواء كان عدم حصول اليقين مربوطا بالكلمة أو الجملة، أو احتمل وجود معارض، أو ناسخ، أو مخصص، أو مقيد. أو كان لاحتمال نقص في الإسناد أو السند أيضا إذا كانت الظواهر من السنة.

وقد لا يكون في مورد نص ولا ظاهر لاستفادة أحكم منه (أو يكون ولكن المجتهد يقصر عن أراكه ونيله) فيكون الحكم مستندا إلى إجماع معتبر، أو الدليل من العقل المستقل (كما تريه الشيعة) أو قياس، أو استحسان، أو مصلحة مرسلة (كما تريها أهل السنة – على اختلاف وأقوال فيها).

والحكم الشرعي في الأنحاء المذكورة، من حيث الكفر وعدمه، مختلف:

فإن كان الانكار متوجها إلى أصل الدين أو إلى أمر ضروري منه، بل أو كان متوجها إلى ما عليه النص، ولا سيما إذا كان الانكار مع عناد: فلا يوجد خلاف في الحكم بكفر المنكر. وإن كان الانكار متوجها إلى ما يرجع إلى الظواهر أو إلى ما لا نص له فيه من الشارع في الواقع (أو في الاجتهاد مع الفحص الكامل) أو إلى حجية أمر غير – الكتاب والسنة المعتبرة، أو عدم حجية فالحكم بكفر منكر حكم من هذا القبيل، حكم زور وقول بلا دليل وناش عن الغرور.

ولعله لا يبقى ريب في أن الاختلافات التي لا يتعلق بأصل الدين ولا بفروعه بل يكون متعلقا بالموضوعات الخارجية عن متن الدين، أصلا وفرعا، كإنكار

فضل بعض أو إثبات نقص له أو إيراد طعن عليه، من الصحابة كان أو من غيرهم، لا يوجب –
الخروج عن الدين ولا يجوز الحكم على المنكر بالكفر ولا يستحق المنكر، القدح والتوهين، اللهم إلا أن يخرج الكلام مخرج الغيبة أو البهتان والافتراء وكان ثابتا في – الدين عدم جوازه وحرمته فيحكم بحكمه ولا يتعداه.
وكيف كان، الشبهة في المصداق في هذه الموارد أيضا أمر بحاله باق، فلا معنى للحكم بالكفر والقتل والإحراق. اللهم اهدنا سبيل الرشاد واجعل التقوى، في – القول والعمل، لنا خير الزاد، وصل وسلم على رسولك وعلى آله الأمجاد.
– ٢٢ –
لعل الناظر في هذه الأوراق، وهو توجه إلى ما يكون بين الشيعة وبين أهل – السنة، في الحقيقة والعقيدة، من الاتفاق ثم يشاهد ما بينهما من حيث التوادد والتحابب والمعاشرة والخالطة من الاختلاف والافتراق، تعجب من ذلك، وأحب أن يعرف الباعث لذلك فليرجع إلى تاريخ الإسلام وليتدبر زمان عثمان، وكلمتهم واحدة وهمتهم متفقة، لا تشعب فيهم ولا تحزب لهم، وأما الخلاف الذي حدث في آخر زمانه، لم يكن بالحقيقة اختلافا كان منشأوه وجود فرقة خاصة تجاه فرقة أخرى
فما كان التفرق ولا اختلاف فيه بمعنيه المصطلح والمنظور، الذي ينبعث من كون أتباع شخص أو أشياع مسلك ومرام قبال مخالفة في مذهبه ومرامه، بل كان منشأوه إن المسلمين، أو بعضهم صاروا ناقمين على الخليفة، طاعنين عليه وعلى عماله من بني أمية، المتجاهرين، على ما قالوا، بالفسق والفساد، المتظاهرين بالجور والعناد وكانوا ملتمسين من الخليفة الصلاح والإصلاح، سائلين منه النجاح والإنجاح، وهو يتسامح في فعله حتى انجر إلى ما انجر إليه، من قتله.

- ٢٣ -

كان هناك وميض نار تحت الرماد وذلك أن ما كانت بين بني أمية وبين بني هاشم طوال سنين، من العصبية والمنافرة والعناد، صارت خفيفة ضعيفة بظهور الإسلام وغلبته، ودخول أكابر سلالة أمية وشيوخهم طوعا وكرها في الإسلام، وقبولهم رغبة أو رهبة ما كان من طلبته، بل صارت في الظاهر دارسة معدومة، وتبدل عنوان " القومية "

والتفاخر بها بعنوان " الإسلام " و " المؤمن "، أولا، وبعنوان " المهاجر " و " الأنصار " ثانيا، متداولة معمولة.

كان الأمر على ذاك، حتى انتخب عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية للخلافة، وصارت الخلافة لبني أمية وكان عثمان (رض) يحب بني أمية، فقربهم إليه، وقد مهم لديه، وحمل بني أمية وبني أبي معيط ١ (كما تفرس عمر) على رقاب الناس ٢، وآثرهم بالإفياء والأخماس فأحاطه القوم عليه من كل جانب، ولازموه لزوم عضو لازب، فكان (رض) لشدة حبة لهم وقوته، ولضعفه الناشئ عن واهنة شيخوخته، طوع رغبتهم، وتحت سلطتهم، بل وفي قبضتهم.

قال علي (على ما نقله الطبري وغيره، وسيجئ في الكتاب) في ما قاله له: " أما رضيت من مروان ولا رضى منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك! مثل جمل الضعينة يقاد حيث يسار به... "

فركبت بنو أمية رقاب الجمهور، وسلطوا من كل ناحية على الأمور، وحينئذ نبض فيهم عرق الحمية الجاهلية وجهضتهم العصبية الأموية، وبرزت ما كانت

---

١ - أبو معيط (على زنة رجيل) ابن أبي عمرو بن أمية، من زوجته التي كانت زوجة أبيه، كما قال أبو الفرج الأصفهاني الأموي في كتابه " الأغاني " وحكيناه عنه في الكتاب كما سيجئ.

٢ - نقلنا قول عمر (رض) في تفرسه في الصفحة ال ٤١٧ من الكتاب كما سترى، عن ابن أبي الحديد وفي الصفحة ال ٤١٨ منه، حكاية عن كتاب " الأمالي لثعلب مع تفاوت بين المنقولين، وتفاوتهما في المفاد والمراد.

كامنة في نفوسهم، من الحقد والحسد والبغضاء على بني هاشم، ومن الكبر والخيلاء على
غيرهم، وظهرت آثار القومية المدروسة في أحوالهم وأقوالهم وأعمالهم المنحوسة، فنظروا إلى الخلافة المقدسة نظرهم إلى السلطنة المدنسة، وزعموا أنها لهم بالاستحقاق، وأنهم لها بالاستعداد، وعزموا أن يتلقفوا، على ما اقترح وأوصاهم شيخهم وكبيرهم
(أبو سفيان) كما تتلقف الكرة، وصمدوا إلى أن يحفظوها لهم وفيهم بالمداولة، ووتدوا أرجلهم لأن يكونوا كما أمر أيضا شيخهم وجعل عليهم الفرض بقوله: " فاجعل بني أمية
أوتاد الأرض " ١. أوتادا في الأرض.
قتل عثمان لفساد حاشيته من قومه، ولا سيما ما كان من مروان ابن عمه، الذي قال علي (ع) في حقه: " إنه ستلقى الأمة منه ومن ولده يوما أحمر "
و " انثال الناس على علي من كل جانب " و " أقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على أولادها، يقولون: البيعة... " و " تداكوا عليه تداك الإبل – إليهم إلى حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء... " و "... وطئ الحسنان وشق عطفاه... " على ما عبر علي (ع)، نفسه (نهج البلاغة)، و "... انكفأوا قبل ابن أبي طالب انكفاء الجراد، أبصر المرعى " كما عبر مروان في كتابه إلى معاوية يخبره بقتل عثمان.
وكان علي (ع) يمتنع ويأبى، كما صرح بقوله: "... فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها ومددتم يدي فقبضتها، وازدحمتم علي حتى ظننت أن بعضكم

---

١ – قال أبو الفرج الأموي الأصفهاني في " الأغاني " مسندا (الجزء السادس): " لما ولي عثمان، الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية إن الخلافة صارت في تيم وعدي حتى طمعت فيها وقد صارت إليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار... " وقال أيضا فيه مسندا: " دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره فقال: هل لنا من عين؟ فقال له عثمان، لا. قال أبو سفيان إن الأمر، أمر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل أوتاد الأرض بني أمية " هذا الكلام مؤرخ أموي لا يتصور أن يقول ما يعود وهنه إليه.

قاتل بعض، أو إنكم قاتلي... " فبويع علي بالإكراه، ورضى الناس وفرحوا
"... وبلغ من سرورهم ببيعتهم إياه أن ابتهج بها الصغير، وهدج
إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت عليها الكعاب "
(نهج البلاغة).
حينئذ تيقضت الفتنة، وتجهزت للنهضة، فتطايرت الكتب، وتتابعت الرسل
فكتب مروان إلى معاوية يحرضه على المخالفة ويمنيه الخلافة. وكتب معاوية إليه
وإلى غيره من أجلاف بني أمية وأجلادهم، وإلى كل من يرجو خلافه على علي (ع)
من أكابر الصحابة، بالوعد والوعيد، والتصريح والتعريض، والتهييج والتحريض،
حتى كتب إلى الزبير بأنه أخذ له البيعة من أهل الشام.
- ٢٤ -
من المأثور قديما إن " الإنسان مأخوذ من النسيان " ولعل الفحص والاعتبار
يوافقه، إذا الإنسان أو يتناسى كثيرا مما يرتبط به، سيما إذا كانت أمورا مذمومة
لا يراها اللائق بشأنها اللاحق، ولا مناسبا لما يرجوه ويتمناه من غرضه السامي
وهدفه الفائق.
فلا تعجب إذا ترى أن معاوية نسي أو تناسى أن أباه أبو سفيان هو الذي حاد الله
وعانده، ونازع الرسول وحاربه، وما آمن بالله إلا بالإكراه، وما خضع للإسلام
إلا بالإجبار والإلجام، وأن أمه هند، أم الفساد والإفساد، المعروفة ب " آكلة الأكباد "
وهو نفسه كما كتب علي (ع) إلى زياد بن أبيه، هو الشيطان:
"... فاحذره (يعني معاوية) فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم عفلته ويستلب غرته... "
وكما كتب أيضا إلى معاوية نفسه مرة:
"... وإنك لذهاب في التيه، رواغ عن القصد... " وقال في شأنه مرة

أخرى: " والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر... وكل غدرة ١ فجرة وكل فجرة كفرة... "
كان معاوية من " الطلقاء " ويعرف بذلك عند المسلمين ويقال له ذلك في غيابه وحضوره حتى في زمان سلطنته. كتب علي (ع) إليه في ما كتبه جوابا له: "... وأما قولك: " إنا بنو عبد مناف " فكذلك نحن، ولكن ليس أمية – كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ولا المهاجر كالطليق
ولا الصريح كاللصيق... " وفي كتاب آخر في جوابه أيضا: "... وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه.
وما أنت والفاضل والمفضول؟... وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين؟... "
قال أبو الفرج الأصفهاني الأموي في كتابه " الأغاني " (الجزء الثالث – الصفحة – ال ١٨) بالإسناد:
" حج معاوية حجتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة تحج عليها نساؤه وجواريه. فحج في إحديهما فرأى شخصا يصلي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان فقال: من هذا؟ قالوا: شعبة بن غريض. فأرسل يدعوه وفاتاه رسوله.
فقال أجب أمير المؤمنين.
" قال: أوليس قد مات أمير المؤمنين؟
قيل: فأجب معاوية. فأتاه. فلم يسلم عليه بالخلافة.
" فقال له معاوية:
" ما فعلت أرضك التي بتيماء؟
" قال: يكسى منها العاري، ويرد فضلها على الجار.
" قال: أفتبيعها؟

---

١ – الغدرة: كثير الغدر.

" قال: نعم.
" قال: بكم.
قال: بستين ألف دينار، ولولا خلة أصابت الحي لم أبعها.
" قال: لقد اغليت.
" قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمأة ألف دينار! ثم لم تبال!
" قال: أجل، وإذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي نفسه.
فقال: قال أبي:
" يا ليت شعري حين أندب هالكا... " الخ.
" فقال: أنا كنت بهذا العشر أولى من أبيك.
" قال: كذبت، ولؤمت!
" قال: أما " كذبت " فنعم! وأما " لؤمت فلم؟
" قال: " لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية، وميته في الإسلام. أما في – الجاهلية فقاتلت النبي (ص) والوحي حتى جعل كيدك المردود، وأما في الإسلام فمنعت ولد رسول الله (ص) الخلافة، وما أنت وهي وأنت طليق بن طليق؟... "
كذلك كان معاوية في بيته وفي نسبه، وباعتبار نفسه وحسبه، وكان معاندا كأبيه وأمه رسول الإسلام ولما فتحت مكة عام ٨ وصار طليقا دخل في الإسلام قهرا. وفي خلافة عمر (رض) صار بأمره أميرا على الشام ولكنه خالف في أمارته سيرة الخليفة،
حتى قال عمر (رض) حين وروده بالشام وشهوده دبدبته وكبكبته وخدمه وحشمه: هذا كسرى العرب! " وعنفه على ذلك وعيره، ولكنه ما غيره، بل استحسن بهذا القول عمله وقرره ١.

---

١ – ولا تعجب من كلام مصحح " العواصم حيث استصح كسروية معاوية بما قال: " وقد يظن من لأنظر له في حياة الشعوب وسياستها إن الحاكم يستطيع أن يكون كما يريد أن يكون، حيثما يكون، وهذا خطأ فللبيئة من التأثير في الحاكم! وفي نظام الحكم! أكثر مما للحاكم ونظام الحكم من التأثير على البيئة!... " وذلك لأنه وأضرابه ينظرون إلى الإسلام نظر من لا يرى أن الحكومة المطلقة في جميع الشؤون وفي كل المناطق والبيئات لا بد وأن تكون لله ولرسوله وللقرآن والإسلام، فلا حكومة إلا حكومة الإسلام، ولا نظام إلا نظامه. الإسلام يصوغ البيئة، ويسوق الناس على وفق أحكامه، ولا معنى لتأثيرها في حكامه. ثم كان المصحح نسي أو تناسى ما قال للدفاع عن معاوية فقال في التعليق الطوال الذي عقله على كلام المصنف (وتكون ولاية الملك لابتداء معاوية – ص ٢٠٧): " والذين لا يعرفون سيرة معاوية! يستغربون إذا قلت لهم، إنه كان من الزاهدين! والصفوة – الصالحين!) ثم روى عن أبي حملة أنه قال: " رأيت معاوية على المنبر بدمشق يخطب – الناس وعليه ثوب مرقوع! وأكد ذلك برواية أخرى عن يونس بن ميسر أنه قال: " رأيت معاوية في سوق دمشق وهو مردف ورائه وصيفا! وعلى قميص مرقوع الجيب! يسير

في أسواق دمشق! " فانظر هذه الروايات وتأسف وقل: " ويحك يا مسكين! يا كسرى – العرب! الدهر أنزلك حتى أردفت وصيفك! ولبست قميصا مرقوع الجيب! كأنك نسيت إنك في الشام وفي بيئة لا بد أن يحكم عليك نظامه القيصري! "

- ٢٥ -

اعتاد أهل الشام من أزمنة قديمة بهذا النحو من الإمارة، وكان اطلاعهم عن الدين وأحكامه، ومعرفتهم بالرسول وأقاربه وأقوامه، وخبرهم عن سيرته وسيرة من آمن به، محدودا حسب ما تلقوا عن معاوية في أيامه، ومقدرا بعد ما اقتضت سياسته لبيانه وإعلامه. فلما قتل عثمان وبويع علي وكان معاوية على يقين من أن عليا لا يحتمل الكسروية والقيصرية، فلا يدعه وإمارته الغاشمة العاثية، ولا يتقبل منه أعذاره الوانية الواهية، فلا محالة يعزله عن حكومته، المنحرفة عن سنن الإسلامية - السامية.

على أنه يرى أن عليا من بني هاشم وأن ابنيه، ابنا رسول الله، فإن استقرت خلافته، انتقلت منه إلى ابنيه، وتبقى في بيت هاشم، وفي أهل البيت ما بقي الدهر،

ولا يبقى لبني أمية فيها مد ولا جزر. وهذا ما كانت تخاف منه قريش، وكان إحدى – الجهات التي سعت في صرف الأمر عن علي، فشمر عن ساعد الخلاف والثوار وجعل قتل الخليفة عثمان وسيلة للانتصار.

يظهر من التاريخ جليا أن هم معاوية في أول أمره وبادئ بدء خلافة، كان مقصورا على الاخلال بخلافة علي ولم يكن له طمع في الخلافة، لا لمعرفته سوابق مكانه في الإسلام فقط، والعلم بدنو مقامه وشأنه عند المسلمين فحسب، بل لأنه كان يعرف أن أمر الخلافة، على ما سبق من الروية لا يتم إلا بانتخاب الأصحاب من المهاجرين

والأنصار ولا ينفذ إلا باتفاق أكابر أهل المدينة الأخيار، ويعلم ما في ذلك من الابتعاد وإن دون البيعة له بالخلافة خرط القتاد فأين هو، وهو عندهم هو، من ذاك الاتفاق والاتحاد؟

بايع عليا المهاجرون والأنصار، ومن بقي حيا من البدريين الكبار، فنال ما استحقه من الخلافة وفاز محبوه ومعتقدوه بما اعتقدوا له من الإمامة والولاية، وعلي كان يومئذ على ما كان عليه في ما مضى، ورضى بما قدر الله له وقضى، فلم يحدث خلافا لمن سلف، ولم ير حينئذ إلا ما كان يريه بعد وفاة النبي ولأجله بايع وائتلف

وهو كما قال:

"... إن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين
وسفك دمائهم... والدين يفسده أدنى وهن ويعكسه أقل
حلق فولي الأمر قوما لم يألوا في أمرهم اجتهادا... "

– ٢٦ –

لم يظهر في مدة خلافة علي مخالفة منه لمن كان قبله، ولم يكن المسلمين – التابعين له إلا على ما كانوا عليه، وما عملوا إلا مثله، ولم يوجد هناك اختلاف وتفرق، إلا ما حدثته مطامع معاوية وبني أمية، وأورثته مكايدهم باسم عثمان الخليفة، إذ جعلوا ذلك ذريعة للضربة على علي (ع) ونقض أمره وكسر شوكته وشأنه،

وتفريق الجماعة عن حوله، والتوسل بذلك إلى عزله بل وقتله.
رسم معاوية لنيل ذلك الغرض الفاسد، والوصول إلى ذاك الهدف والمقصد،
بعد " التحريض " الذي، كما عبر هو نفسه في كتاب كتبه إلى عبد الله بن عامر، أحد
-
السلاح: "... واجعل أكبر عدتك، الحذر وأحد سلاحك، التحريض... "
أن يهيأ أسبابا يضطر بها علي على الخروج عن المدينة الرسول، مركز الخلافة، فكتب
إلى يعلى بن منية في ما كتب صبيحة ورود كتاب مروان إليه، يخبره بقتل عثمان:
"... وقد كتبت إلى طلحة بن عبد الله أن يلقاك بمكة حتى يجتمع رأيكما على
إظهار الدعوة... "
وكتب في ما كتب إلى الزبير، بعد عنوان الكتاب لعبد الله الزبير، أمير المؤمنين! "
"... فإني قد بايعت لك أهل الشام! فأجابوا!... فدونك الكوفة والبصرة
لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب... وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك... "
- ٢٧ -
فاز معاوية ببغيته، وصار إلى أمنيته، واضطر علي (ع) بما مهده معاوية،
واعده له، بالخروج عن المدينة، وانجر الأمر إلى حرب الجمل فاشتد الاختلاف
والتفرق، وحصل التحزب والتشعب باسم عثمان وبعنوان " شيعته " وتمييز هذا -
العنوان من تابعي علي وشيعته، لكنه لا علي ولا شيعته وتابعوه، لم يظهروا خلافا
للخلفاء السابقين، ولم يتكلموا بما يتوهم منه اختلاف مع المسلمين الأولين، ولم
يعملوا
عملا يقطعهم عن المتقدمين (وإن كان في شيعة علي من يعتقد بكون علي أحق
بالخلافة
وإن غيره استبد بحقه).
استفاد معاوية لتشديد الاختلاف، والإخلال بأمر علي من أية وسيلة يرشدها
إلى التوسل بها نكراؤه ودهاؤه، فأمر بإلقاء قميص عثمان على المنبر في مسجد الشام
وباجتماع النوائح عليه بالضجة والعويل والبكاء، للتهييج والتحريض لأهل الشام،
فلما تم كيده، وتهيأ أهل الشام لأخذ الثار، خرج إلى صفين وقابل عليا وقاتل،

وصار سببا لقتل عمار بن ياسر، وقتل سبعين ألف أو أزيد من المسلمين، ولما أحس باقتراب غلبة الحق وظهوره على الباطل، أوحى شيطانه إليه بمكيدة أخرى، وألقى في روعه أن يأمر برفع المصاحف على الرماح والقنى. فوصل إلى ما أحب، وأدرك ما أراد، من وقوع الاختلاف في جند علي والتشتت لكلمتهم، والتفرق من جماعتهم والخلل في إطاعتهم (وقد كان من قبل ذلك خادع بعض المنافقين والمستضعفين من رؤساء جند علي وأطمعهم ببذل المال ووعد الجاه).

ولم يطل الزمان بعد ذلك حتى قتل علي ١ وبويع الحسن، ابنه، فرأى معاوية أنه لا يمكن له أن يتهم الحسن بقتل عثمان، كما صنع بالنسبة إلى أبيه، ولا أن يطالب عنه قتلة عثمان، الذين لعله لم يكن أحد من المتهمين به في قيد الحياة، فلا بد وأن يدخل من باب آخر للفوز بما يتمناه، فتوسل بمكائد سوأى وتعمل دسائس أخرى حتى اضطر الحسن إلى إلقاء حبل الخلافة على غاربها، وقبول الصلح من غاصبها.

- ٢٨ -

وحينئذ، آل الأمر إلى ما آل، ونال معاوية بما لم يكد يتصور أن ينال، واتسم لقب خال المؤمنين، واغتصب عنوان خليفة المسلمين، فعليه أن يسعى لتشديد مباني سلطنته، ويجتهد في تحكيم قواعد حكومته، باسم الإسلام، وتحت عنوان خلافته، فماذا عليه أن يفعل؟

---

١ - ويعجبني أن أورد هنا ما أفاد المسيحي اللبناني، جبران خليل في حق علي حيث قال:
" مات علي بن أبي طالب شهيد عظمته، مات والصلاة بين شفتيه، مات وفي قبله - الوثوق إلى ربه ولم يعرف العرب حقيقة مقامه ومقداره حتى قام من جيرانهم الفرس، أناس يدركون الفارق بين الجواهر والحصى، مات شأن جميع الأنبياء الباصرين - الذين يأتون إلى بلد ليس بوقتهم وفي زمن ليس بزمنهم، ولكن لربك شأنا في ذلك وهو أعلم ".

أول أمر يهمه هو أن لا يبقي ولا يذر أحدا ممن كان مخالفه ولا يهواه، أو كان محبا لعلي ويهواه.
أما الفرقة الأولى فأمرها سهل هين، إذ الناس عبيد الدرهم والدينار ويستعبدون بالعطية والإحسان " فطالما استعبد الإنسان إحسان " وبيت مال – المسلمين تحت قضبته، يتصرف فيه كيف يشاء وعلى ما يشاء من جانب ١، والبلاد – الواسعة الإسلامية تحت قدرته، وطوع رغبته، يعمل فيها من يشاء، ويستعمله

---

١ – قال الطبري في تاريخه (الجزء الرابع – الصفحة ال ١٨٠ –).
"... وفد الأحنف بن قيس، وجارية بن قدامة من بني ربيعة بن كعب بن سعد، والجون بن قتادة العبشمي، والحتات بن يزيد أبو منازل... إلى معاوية بن أبي سفيان فأعطى كل رجل منهم مأة ألف! وأعطى الحتات سبعين ألفا:
" فلما كانوا في الطريق، سأل بعضهم بعضا فأخبروه بجوائزهم، فكان الحتات أخذ سبعين ألفا فرجع إلى معاوية.
فقال: ما ردك يا أبا منازل؟
قال: فضحتني في بني تميم، أما حسبي بصحيح؟ أولست ذا سن؟ أولست مطاعا في عشيرتي؟
فقال معاوية: بلى.
قال: فما بالك خسست بي دون القوم؟
فقال: إني اشتريت من القوم دينهم! ووكلتك إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان، وكان عثمانيا.
فقال: وأنا فاشتر ديني!. فأمر له بتمام جائزة القوم!... "
وفي " الإستيعاب " لابن عبد البر بالإسناد عن حسن البصري (كما في كتاب النصائح – الكافية... " أنه قال: " كتب زياد بن أبيه إلى حكم بن عمرو الغفاري، عامله بخراسان: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن الذهب والفضة من الغنائم، له خاصة وليس لغيره فيهما حق، فلا تقسمها بين المسلمين... " ونقل صاحب كتاب " النصائح "، عن ابن حجر بأسناد رجاله ثقات: إن معاوية قال في خطبة يوم الجمعة:
" إنما المال مالنا والفيئ فيئنا فمن شئنا أعطيناه! ومن شئنا منعناه!... "

كيف يشاء من جانب آخر وهو يعلم بدهائه، ويعمل لبقائه، فيصير المخالف موافقا، وإن لم يكن في الواقع إلا منافقا.
وأما الفرقة الثانية وهم أصحاب علي (ع) العارفون بشأنه، المحبون له لعلو مقامه، ورفعة مكانه، وكثرة فضائله، الذين آمنوا بكلام النبي (ص): " علي مع الحق والحق معه يدور أينما دار ".
وسمعوا منه (ص)، أو ممن سمع منه (ص)، ما قال في شأن علي كقوله: " من أحب عليا في محياه ومماته كتب الله له الأمن والأمان " ١.
وكقوله: " لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن "
وقوله: " علي مني كنفسي، طاعتي ومعصيته معصيتي "
إلى غير ذلك مما ورد عن الرسول (ص) في حقه (وستمر عليك نبذة منها في الكتاب منقولة عن الكتب المعتبرة لأهل السنة، مسندة).
فالداء في هذه الفرقة على إعضال، والأمر معهم مشكل غاية الإشكال، لأنهم لا يبيعون الدين بالدنيا، ولا يشرون أنفسهم المطمئنة بالإيمان، وقلوبهم الممتلئة من حب يورث الأمن والأمان، بتلك الأثمان وتلك الدرجات السفلى.
شرع معاوية بتصفية مملكته ممن خالفه، فاشترى من الفرقة الأولى بالمال والعمل (الإمارة والرئاسة) أنفسهم واستراحت نفسه بهذه السياسة. وأما الفرقة الثانية، وهم محبوا علي، ومفدوه بأنفسهم، ومبغضو معاوية وسلطنته الباغية العاتية، فعزم على أن يفنيهم ويستأصلهم، فصمد للمخالف من هذه الفرقة نحو عنوان " شيعة علي " واستغله لمقصوده، فأمر عماله في جميع البلاد أن يضيقوا على من يتسم، أو يتهم، بالتشيع، ويعذبوهم بالحبس، والزجر، والقتل، ويمتحنوهم بالبراءة عن علي (ع) وعن حبه ويحملوهم على لعنه وسبه! والويل ثم الويل لمن استنكف وأبى، واستعاذ بربه ووفى.

---

١ - وفي المحكي عن كتاب فضائل علي للإمام أحمد بن حنبل "... أن السعيد كل السعيد، حق السعيد، من أحب عليا في حياته وبعد موته "

- ٢٩ -
فصار عنوان " الشيعة " كالعناوين التي يتخذها الساسة، في هذا العصر، وسيلة لأن يكبتوا بها من يخالفهم في السياسة، ويعارض سلطتهم وقدرتهم وشوكتهم بالمنافسة، وعنوانا لأن يقهروه ويدمروه بل ويستأصلوه.
استقصاء شيعة علي واستأصلهم وإن كان مهما عند معاوية، شاغلا باله، ولكنه لدهائه، والابتداع في أهوائه وكياسته لحفظ مقامه ورئاسته لم يكن غافلا عن مهم آخر في سياسته.
قال علي في ما كتب إليه: " فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء - المبتدعة والحيرة المتبعة، مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله
طلبة وعلى عباده حجة... " فشدة لزومه للأهواء، حمله على الابتداع لتضليل - الخلائق، وتضييع الحقائق، بوضع الأحاديث وجعل الأكاذيب، وحتى بتحريف - أسباب نزول الآيات، وتبديل الروايات، ونقل الأراجيف في حق علي، كي يلتبس - الأمر على الغبي، ولا سيما على أهل الشام، مركز سلطنته وعاصمة حكومته على أهل الإسلام، وتشتبه الحقيقة على الأمة في ما صدر في شأن علي عن نبي الرحمة، حتى ينسى الكبير فضائله، ويكبر الصغير على ما وضعه وافتعله.
وقعت المخاويف وكثرت الأراجيف في زمن معاوية، وعذبت نفوس زكية وقتلت أخرى أبيه، بأمره وبيد عماله وأمرائه، باسم " شيعة علي " كعمرو بن حمق وحجر بن عدي الصحابي. " فصارت هذه السياسة الآثمة الغاشمة، وهذه - المعاملة الجائرة الجابرة، على خلاف شيعة علي وتابعيه، باضطهادهم، وإيذائهم، وحبسهم، وقتلهم، علة للفرقة وسببا لأن ينظر إليهم، وهم في الإسلام من الأقطاب، وفيهم بقية من الأصحاب، كأنهم، والعياذ بالله، ليسوا من المسلمين، أو ما هم إلا فرقة خارجة من الدين! وهذا ما أشار علي (ع) إليه لقوله: " وإن أخوف الفتن عليكم عندي فتنة بني أمية... "

وقال بعده:
"... وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب – الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها، وتمنع درها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لهم أو غير ضائر بهم، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية ١، وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى... " (نهج البلاغة).

كان معاوية رأس الفتنة وركنها وأم الفساد وقطبها، فمن كان بعده من بني أمية اقتدى به في الفتنة والفساد، وبنى أمر الحكومة والسياسة على أساس أسسها مقدمهم (معاوية) في التضييق على محبي علي وشيعته الأمجاد، وإبعادهم عن الأمر والنهي مخالفا

لما أمر به الشرع، معكوسا لما بينه الدين وقرر، وتدافع عن حقها وكيانها، وتمانع عن معتقدها في محبوبها وإمامها، وتتأسى به في ما اعتقده وأظهره، وتتأدى له من حقه بما بينه وأخبره، كقوله: " إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم ".

وكقوله: "... وإنما طلبت حقا لي... "

وكقوله: "... وأجمعوا على منازعتي أمرا هو لي... "

وكقوله: " ما زلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا "

وكقوله: " ما زلت مستأثرا على، مدفوعا عما استحقه واستوجبه "

أورد الطبري في تاريخه (الجزء الثالث – الصفحة ال ٤٧٦ –) بالإسناد، قضية منزل ذي قار في طريق البصرة وخطبة علي ومكالمته مع ابنه الحسن (ع) إلى أن قال (ع):

---

١ – الناب، الناقة المسنة. الضروس: السيئة الخلق، تعض حالبها. تعذم (بالعين – المهملة والذال المعجمة) من عذم الفرس إذا أكل بجفاء أو عض. تزبن (بالزاء المعجم) تضرب. شوهاء: قبيح المنظر. مخشية (بالخاء المعجمة): مخوفة، مرعبة.

" إن النبي (ص) قبض وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني، فبايع - الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا!
" ثم إن أبا بكر ملك وما أرى أحدا أحق بهذا الأمر مني فبايع الناس عمر بن الخطاب فبايعت كما بايعوا.
" ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين... " وأشباه هذه الكلمات التي ستمر على الناظر في الكتاب إن شاء الله.
خلاصة الكلام كان الأمر على ما كان عليه المسلمون بلا اختلاف عملي بينهم حتى اغتصب معاوية أمور المسلمين، وانتصب نفسه للخلافة وإمارة المؤمنين، وتسلط عليهم باسم الخلافة وخضعوا له خوفا وطمعا، واجتمعوا حوله رغبة ورهبة، وقامت راية ضلال على قطبها، فكالتهم لصاعها وخطبتهم بباعها، وظهر ما قاله علي (ع) في حق معاوية وأخلافه من بني أمية حيث قال (ع):
"... راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها، تكيلكم بصاعها، تخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة، قائم على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم إلا ثفالة كثفالة القدر أو نفاضة كنفاضة العكم، تعرككم عرك الأديم، وتدوسكم دوس الحصيد، وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص الطير، الحبة البطينة من بين هزيل الحب... " ١
فأصبحت الشيعة فرقة مخالفة، لا لمن سبق من الخلفاء بل لمن أسمى نفسه خليفة، وادعى أن أفعاله على ما رضى الله ورسوله (ص) وعلى سيرة السلف من -

---

١ - تكيلكم: تأخذكم للهلاك جملة كالكيال يأخذ من الحب. تخطبكم بباعها: من حبط الشجرة أي ضربها ليتناثر ورقها. والتعبير بالباع لإفادة استطالتها عليهم وتناولها للقريب منهم والبعيد. والنفاضة: ما يسقط بالنفض. العكم، كالعدل، بالكسر، لفظا ومعنى وأيضا نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها. العرك: الدلك الشديد والحكة إلى أن يعفى. الأديم: الجلد. البطينة: السمينة.

من الراشدين، واضطرت من خوف معاوية وجور عماله إلى التقية والاختفاء ١ وكانت على كل حال، وفي كل أمر من أمور الدين، أصوله وفروعه متبعة بعد علي، أهل – البيت وعترة النبي، مقتدية بهدي أبناء وذرية علي، الذين قرنهم – الرسول (ص) بالكتاب، وتركهما لحفظ الأمة عن الضلال بلا ارتياب، واعتقدت – الشيعة طهارتهم وعصمتهم، وعرفت علمهم وحكمتهم.

– ٣١ –

والقول الجملي أنه لا اختلاف بين الشيعة وبين سائر المذاهب الإسلامية (اللهم إلا مذهب من يتبع بني أمية ويصدق أحاديثهم الموضوعة) في الأصول: من التوحيد والنبوة والمعاد. ولا اختلاف بينهم في أن ما جاء به الرسول (ص) حق لا ريب فيه في تحقق الخلافة

خارجا على ما ضبطه التاريخ ومضى وفي عدم ثمره على الاختلاف لمستقبل الإسلام في ما مضى وانقضى (إلا ضعف الإسلام وذل المسلمين). ولا اختلاف بينهم في أن الإمام

عليا ابن عم الرسول وصهره، وأبو ذريته وآله، وأنه بمنزلة نفسه، وأنه كان أول ذكر (أو رجل) آمن وصلى، وكان وصيه وخليفته كهارون من موسى، وأنه (ع) كان جامعا لجميع ما تفرق من المكارم والفضائل في سائر الأصحاب من السخاء والوفاء

والزهد والعلم والشجاعة والقرابة وأشباهها وأنه فرد لا يدانيه فرد وماجد لا يساجله أحد في أن يملأ الدلو إلى العقد.

---

١ – قال الشاعر الشيعي، الكميت في ما قال من بائيته:

" ألم ترني من حب آل محمد * أروح وأغدو خائفا أترقب

" كأني جان محدث وكأنني * بهم أتقى من خشية العار أجرب

٢ على أي جرم؟ أم بأية سيرة؟ * أعنف في تقريظهم وأؤنب "

وفي ما قال في لاميته: " فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم * فتحي م؟ حتى م العناء المطول؟

" رضوا بفعال السوء في أهل دينهم * فقد أيتموا طورا، عداء، وانكلوا "

- ٣٢ -
أيها الإخوان، الإسلام دين الوحدة والاتحاد، دين الألفة والوداد، دين القوة، دين العظمة والشوكة، دين العزة والرفعة، لا دين التعصب والتفرق. حسب الإسلام وكفاه
هذه الاختلافات والمشاحنات، ألا ترون ما صنع الاختلافات؟ أما تشاهدون أن الاختلاف
قسم الإسلام وصيره بقاعا ورقعا ولكل رقعة حكومة طريق خاص
لإدارة رقعته، ونظام حكومته، ونظم مملكته وبلدته: من الديموقراطية والملكية والجمهورية و... وعلى كل يجرى عليها حكم الدول الجانية المستعمرة! أين الإسلام الذي كان في صدر الإسلام وأين ما عليه المسلمون ويدعونه في هذا الزمان؟ أين تلك العظمة والعزة للمسلمين؟ وأين هذه الحقارة والذلة للمدعين؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.
تذكرت هنا كلاما من عمر أذكره هنا عسى أن يكون له أثر.
قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٨١ -) بالإسناد عن ابن عباس.
" إن عمر قال لناس من قريش: بلغني أنكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معا حتى يقال: من صحابة فلان، من جلساء فلان، حتى تحوميت المجالس (أي حدثت العصبية وحصلت الحمية والحماية).
" وأيم الله إن هذا لسريع في دينكم، لسريع في شرفكم، لسريع في ذات بينكم.
" ولكأني بمن يأتي بعدكم يقول: هذا رأي فلان. قد قسموا الإسلام أقساما. أفيضوا مجالسكم بينكم وتجالسوا معا فإنه أدوم لألفتكم، وأهيب لكم في الناس "
فيا إخواني " اعتصموا بحبل الله جميعا، ولا تفرقوا " وكونوا بالحقيقة إخوة " وإذ كروا نعمة الله عليكم " ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جائتهم البينات " و " أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه "
" يا إخوان الإسلام تهيأوا للإقدام، فقوموا من رقدتكم، وهبوا من هجدتكم،

فقد طالت الهجعة والصبح سافر، وامتدت الهجدة واليوم زائل نافر.
أفيقوا، واضربوا العصبية المفرقة على الجدار. أفيقوا وكونوا رحماء بينكم أشداء على الكفار. أفيقوا ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم – النار وتصير عاقبتكم إلى دار البوار.
أفيقوا وذروا تلك الأسماء التي سميتموها، والألقاب التي نابزتموها: من – الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، والتسنن والتشيع، والأشعرية والاعتزال، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا أعلمه الله في القرآن، التي منها نشأ التقسيم في الدين، وإليها يؤل ضعف الإسلام وذل المسلمين.
إخواني أيها الأعزة الكرام، والأماجد العظام، اسمعوا ممن يحبكم في الإسلام ذروا التشعب والافتراق وخذوا ما أنعم الله عليكم وأراد منكم، من الألفة والأخوة والاتحاد، في ظل الإيمان والتمسك بالقرآن، فإنه فيه " دواء دائكم ونظم ما بينكم " وأنه هو " الهادي الذي لا يضل " و "... أنه ليس على أحد بعد – القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم، فإن فيه الشفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، وألغى والضلال " وأنه يعصمكم من التشتت والاختلاف، وكونوا، بالحقيقة، مسلمين كما كان آباؤكم الأولين.
تذكروا ما كان عليه آباؤكم الأولين، واعتبروا كيف كانوا غالبين قاهرين.
كانوا لاتحاد همتهم، ووحدة كلمتهم، وبسط الفضل ونشر العدل، والاستقامة في سبيل الحق بحيث يهاب أقوى الملوك والسلاطين عن قدتهم وشوكتهم وصولتهم، واليوم صار المسلمون، للتخاذل والتفرق والتشعب، يغزون في ديارهم ويخرجون ولا حول ولا قوة إلا بالله، من ديارهم.
" أين تذهب بكم المذاهب، وتتيه بكم الغياهب، وتخدعكم – الكواذب؟ ومن أين تؤتون؟ وأنى تؤفكون؟ " (نهج البلاغة)
إياكم، إياكم والاختلاف بالعصبية " فإن كان لا بد من العصبية فليكن

تعصبكم لمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور " والتمسك بحبل الإيمان والايتلاف في ظل عنوان " الإسلام ".
وعليكم بالاعتبار يا أولي الأبصار اذكروا ماضيكم الأغر، وانظروا إلى حاضركم وما أحاط به من الخطر، واجعلوا " الإسلام "، نعم " الإسلام "، لتجديد مجدكم الشعار
ودعوا هذه العناوين المختلفة والأفانين المختلفة التي كانت بادئتها الذلة وتكون عاقبتها التبار والبوار، ولا تغزوا بينكم لأجلها في عقر الدار " فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا " ولا تواكلوا ولا تخاذلوا ولا تجادلوا، وانظروا كيف شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان ١.

- ٣٣ -

ولنتوجه أخيرا إلى ما كنا بصدده من بيان الداعي لتأليف الكتاب، والباعث لتسويد الأوراق، وبيان ما روعي فيه ولنلخص بيان الداعي بالإشارة إلى سببين:
١ - إن الفصل الذي كتبته لكتاب " السلام صراط المستقيم " كان مختصرا جدا واقتصر فيه بنقل المعتقد من دون إتيان بالدليل والمستند. ولذلك من ترجمه بالعربية طالب غالبا في ما علق عليها بالحجة، ولم يدر أن المسئون؟ والمنظور لم يكن إلا صرف
بيان الاعتقاد لا الاستدلال والاستناد فوجب أن يكتب ما يشتمل على ما تستند إليه الشيعة
في الاعتقاد.
٢ - إن التعصبات التي أشرت إلى أنموذج منها حداني إلى تأليف مختصر يشتمل على ما يثبت به أن الشيعة في ما تعتقد وتقول تستند بالمعقول والمنقول، ولهم القدم - الراسخ في الفروع والأصول، وما نسبه أو ينسبه إليهم بعض الجاهلين والمعاندين بهتان مبين وافتراء غير مقبول. والمسؤول ممن يريد الحق ويحب الحقيقة أن يراجع لكشف معتقدات الشيعة أصولا وفروعا، في كتب القدماء منهم، كالسيد المرتضى والشيخ أبي جعفر الطوسي والمحقق الحلي (رحمهم الله تعالى) وأضرابهم من علماء الشيعة.

---

١ - مقتبس من كلام علي (ع).

ولما كان أكثر ما يشاهد من تلك النتائج للعصبية، كتب بلسان العرب وأكثر المتعصبين منهم، أو ممن يعرف لغتهم فرأيت أن أكتب هذه الأوراق بذلك اللسان، مع اعترافي بالضعف والقصور والنقصان في هذا الميدان على أن ذلك لسان القرآن المجيد ويجدر أن يتبرك به كل مفيد ومستفيد.

وأما ما روعي في هذا التأليف فعدة أمور.

منها: إن ما نقل فيه، منقول كله، من الكتب المعتبرة للمعتمدين الأثبات، من أهل السنة، وذكر غالبا في المتن أو في الذيل، موضع المنقول من الكتب.

ومنها: إن ما جعل بين علامة " " ولم يصرح بالمأخذ فهو على الأغلب مأخوذ من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، أو منقول من " الكامل " لابن أثير – الجزري.

ومنها: إن جانب الأدب والاحترام روعي فيه ولو بالرمز فحين ذكر اسم – النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة والخلفاء، جئ بمثل " ص " و " ع " و " رض "

وإذا كان أحد الأسماء المذكورة طي عبارة منقولة عن كتاب جئ الدعاء أو السلام فيه بالصراحة لا بالرمز، أتينا بعين لفظه وإن تكرر.

ثم استوفيت مقاصد الكتاب طي ثلاثة أجزاء: الجزء الأول (هذا الجزء)

يحتوي على البحث حول عشرين مطالب: أول المطالب حول " التوجه إلى المبدء والمآل " وآخرها ينتهي بانتهاء خلافة عثمان (رض). والجزء الثاني يتكفل البحث عن فضائل علي (ع) ابتداء والبحث حول الإمام المهدي المنتظر انتهاء. والجزء الثالث يحتوي على أمهات ما يترائى منه الاختلاف بين الشيعة وأهل السنة أصولا وفروعا.

---

١ – وأما الكتب: فالطبري مطبوع في مطبعة " الاستقامة " بالقاهرة، و " الكامل " مطبوع إدارة الطباعة المنيرية بمصر و " الحلية " مطبوع بمطبعة " السعادة " بجوار محافظة مصر. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد مطبوع دار الكتب العربية الكبرى وصحيح البخاري الطبع الذي صححه محمد ابن مالك في زمانه، ونظر فيه عدة من علماء المذاهب بأمر السلطان عبد الحميد، ثم طبع بأمره بإسلامبول.

وفي الختام لا بد وأن أعتذر من الناظرين الكرام، ولا سيما من جهابذة – الأدب والأستاذة في لسان العرب، من قصور الباع وكسود المتاع. والمرجو من وجودهم –
العميم إذا نظروا إليه وشاهدوا فيه أغلاطا وأخطاء من حيث اللفظ والتركيب، أن يصلحوه وإن عثروا على زلة وعثرة ووقفوا على كبوة وهفوة، أن يعفوا عنه ويغفروه فإني نشئت على غير هذا اللسان وإن الإنسان قلما أن لا يعترضه السهو والنسيان.

حمدت الله ربي إذ هداني * لما أبديت مع عجزي وضعفي
فمن لي بالخطأ فأرد عنه * ومن لي بالقبول ولو بحرف

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، وكفر عنا سيئاتنا وتجاوز عن ذنوبنا، يا قديم المن والإحسان.

كتبت هذه المقدمة حين تشرفي بمشهد الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) في أيام شهر الصيام من سنة سبع وتسعين وثلاثمأة بعد الألف الأول من الهجرة النبوية بالشهور القمرية (وفق " شهريور ماه " من سنة ست وخمسين وثلاثمأة بعد الألف، بالشهور الشمسية).

وأنا الضعيف الفاني محمود – الشهابي – الخراساني